



تاج المفرق
في
تحلية علماء المشرق

تأليف:

خالد بن عيسى البلوي

الجزء الثاني

مقدمة وتحقيق:

الأستاذ الحسن بن محمد السائح

طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين المملكة المغربية
ودولة الامارات العربية المتحدة

تاج المفرق
في
تحلية علماء المشرق

تأليف:
خالد بن عيسى البلوي

الجزء الثاني

مقدمة وتحقيق:
الأستاذ الحسن بن محمد السائح

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها القارىء الكريم

أقدم اليك الجزء الثانى من كتاب تاج المفرق .. معتـزا بما تجده فيه من روعة الادب الاندلسى ، مستسمحا عما عسى أن تجد فيه من أغلاط مطبعية .. فقد تعذر على تصحيح الجزء الاول، فكان حظه من الاغلاط المطبعية كثيرا .. ومن حسن الحظ انهـا أغلاط لا تند عن القارىء النبيه .. وقد حاولت جهد المستطاع ان أشير الى كثير منها فى آخر هذا الكتاب ، لهذا اعتذر عن المطبعة .. وعسى ان تجد فى الجزء الثانى متعة تنسيك مـا لاقيـت فى الجـزء الاول .

الحسن السائـح

الجــزء الثـــاني

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قال عبيد الله سبحانه ، الراجى عفوه وغفرانه خالد بن عيسى بـن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن أحمد بن على بن خالد البلوي ، لطف الله به وأخذ بيده وبرحمته أمـين .

ثم انصرفت من عرفات الوفود وانفض المشهد المشهود ، وفـاض الكرم الواسع وعم الجود ، ورعدت الطبول وخفقت البنود وخرجت مـن بين العلمين تلك الجنود، وغصت بهم الربى والتهائم والنجود، الى أن أتينا مزدلفة بين العشائين فجمعنا فيها بين الصلاتين ، واتقد المشعر الحرام ، وما حوله تلك الليلة مشاعيل من الشمع المسرج ، وعاد كله نورا فيخيل للناظر اليه أن كواكب السماء كلها نزلت به وعلى هذه الصفة تكون هـذه المشاهد مدة اقامة الركبان بها ، لان أولئك الخرسانيين وسواهم مـن العراقيين والشاميين أعظم الناس همة فى استجلاب هذا الشمع والاحتفال فيه والاكثار منه اضاءة لهذه المشاهد المقدسة ، فيالك مـن ضياء زاهر، وسناء وارج خلاب أيام غرر وليال مشرقات ، وكذلك يختلفون فى القباب والاروقة والسرادقات ، على هئية عظيمة فترى أحدهم من الامـراء والكبراء قد أحدق به سرادق كالسور ، نسيج كتان كأنه حديقة بستان ،

وزخرفة بنيان ، وفى داخله القباب المضروبة وهى كلها سواد فى بياض ، مشرقة ملونة كأنها ازهار رياض ولهذا السرادق الذي كالسور المضروب أبواب مرتفعة كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم يفضى منها الى الفصل الذي فيه القباب فكأن أحدهم ساكن فى مدينة قد أحدق بها سور تنتقل بانتقاله ، وتنزل بنزوله، وهى من الابهات الملوكية التى لم تعهد عند ملوك المغرب الى قباب بديعة المنظر ، عجيبة الشكل ، قد قامت كأنها التيجان المنصوبة ، أو الاخبية المضروبة ، تنقش أحسن النقش وتملأ بأبهى الفرش. ويقعد الراكب فيها مستريحا وأي مستراح وبازائه معادله أو معادلته فى مثل ذلك من الشقة الاخرى والقبة مضروبة عليهما ماشية فيهما فيسار بهما وهما نائمان لا يشعران فعندما يصلان الى الرحلة التى يحطان بها ضرب سرادقهما للحين ان كانا من أهل الترفه والتنعم ، فيدخل بهما الى السرادق وهما راكبان ، وينصب لهما كرسى ينزلان عليه فينتقلان من ظل قبة المنزل ، دون واسطة هواء يلحقهما ، ولا خطفة شمس تصيبهما وناهيك من هذا الترفيه وهذا المحمل النبيه فهؤلاء لا يلقون لاسفارهم وان بعدت مشقة ولا نصبا ، ولا يجدون على طول الحل والترحال تعبا ، ويجب على المجتهدين من القاصدين لهذه المشاعر الكريمة ، والمشاهد العظيمة أن يحملوا أنفسهم مشقة المشى على الاقدام . فورد فى ذلك من الثواب كثير ، وقد حج الحسن بن على رضى الله عنه وعن آبائه الطاهرين خمسا وعشرين حجة ماشيا ، والنجائب تقاد، وحج الامام أحمد ابن حنبل حجتين ماشيا ، وحج على بن الموفق على قدميه على قدم الفقر احدى وستين حجة ، قال فطفت ليلة متطوعا ، فقلت اللهم انى قد حججت كذا وكذا حجة ، واشهدك أنى وهبت رسولك عشرة وأبا بكر عشرة ، وعمر عشرة ، وعثمان عشرة ، والعشرون الباقية لمن لم يقبل حجه فى هذا الموسم ، وحجة الفريضة تكفينى قال فرأيت الحق سبحانه فى المنام فقال لى : يابن موفق أتتسخى على وأنا خلقت السخاء

أتجود على وأنا خلقت الجود اتتكرم على وأنا خلقت الكرم أما علمت يا بن موفق أنى غفرت فى هذه الليلة لكل من قال لا له الا الله محمد رسول الله ، فبات الناس بالمشعر الحرام هذه الليلة ، وهى ليلة الخميس العاشرة لذى حجة فلما صلوا الصبح غدوا منه الى منى بعد الوقوف والدعاء لان مزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ، ففيه تقع الهرولة فى التوجه الى منى حتى يخرج عنه ، ومن مزدلفه يستصحب أكثر الناس حصيات الجمار ، وهو المستحب ، ومنهم من يلتقطها حول مسجد الخيف بمنى ، فلما انتهى الناس الى منى بادروا لرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم نحروا أو ذبحوا ، ثم حلقوا وحلوا من كل شىء الا النساء والصيد والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ، ثم توجه أكثر الناس لطواف الاضافة ، ومنهم من أقام الى اليوم الثانى ، وأقاموا يرمون الجمار بمنى ، فلما كان اليوم الثالث تعجل أكثر الناس فى الانحدار الى مكة قال الله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه، قال الامام أبو بكر بن العربى رحمه الله خفف على الخلق الرجوع عنه الى الاهل والوطن ، ولما علم من علاقة قلوبهم بهم فأعادهم بأبدانهم ، وعلق قلوبهم بما عاينوا من مكانهم ، وذلك قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، فلا يراه أحد الاتمنى ان يعود اليه ، وان حمله شوق الاهل وحب الوطن على أن يفارقه ، وقد رأيت الغراق وذقته وأكلته وشربته ، وساورنى وساورته ، فما رأيت فراقا أبعد ملتقى ولا استناما أقصى مرتقى ، من فراق المحصب .

فريقــان منهــم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجـد كبكـب

منهم مشرق الى الغاية ، ومغرب الى النهاية ، وشمالى بغير موعد وجنوبى ولات حين مرصد ، ولا شك والله أعلم ، انه عيار لفراق يوم الموقف ، فانه بين آخذ الى الجنة ومحمول الى النار ، ولا ملتقى أبدا ، وأقمنا الى أن خرجنا من منى بعد رمى الجمرة الاخيرة ، وصلاة

الظهر من يوم الاحد رابع يوم النحر ، فنزلنا بخارج مكة شرفها الله تعالى بئابار الزاهر ، ثم أحرمنا للعمرة بمسجد عائشه رضى الله عنها بعد صلاة المغرب بـه ، وأتينا مكة والحرم الشريف للطواف والسعى الى أن قضينا ذلك فى النصف الاخير من ليلة يوم الاثنين وهو خامس يوم النحر ثم ودعناه ساعتئذ وخرجنا وانصرفنا ، وقد كمل لنا الحج والعمرة والحمد اله رب العالمين وحين وجب طواف الوداع وتعين العزم على الازماع ، ودعنا البيت الحرام ، والدموع تستوقف القطار ، وتستوكف الامطار وقلبى لا يطيق وداعا ولا تملك حبته انتزاعا وسرت وانا أكفكف العبرات وأنشد هذه الابيات :

أيا شعب مكة نومى حرام | متى قوضت عن رباك الخيام
الفناك الف الرضيع الرضاع | وقد يؤلمن الرضيع الفطام
سابكيك ما بكت الثاكلات | وهيهات يبرد منى أوام
وأحنو اليك حنين النياق | لهن بأكناف نجد غرام
أيا ساكنين الحمى هل يعود | لنا بعد وقع الشتات التئام
عليكم وان شط منى المزار | سلام وجهد المقل السلام

ولما استقلت نجائب الرفاق وتهادينا تحف الاشواق ، وتشاكينا روعة الفراق ، وأخذنا نسري ونسير ليلا ونهارا ، ونجذب بالنجب الفيافى اشراقا واسحارا ، وتغيب عنا الشموس والاقمار فنتخذ من السرج والمشاعل شموسا واقمارا ونقطع مهامه ينقطع فيها الرفيق عن الرفيق ونسلك مسالك تارة فى الاتساع وتارة فى الضيق الى أو وصلنا الى رأس (وادي العقيق) وتراءت لنا بعد البعاد أعلام ذلك الفريق ، وهناك أنشدت الاصحاب الحاضرين ما أنشدنى تجاه الكعبة المشرفة لوالده شيخنا جمال الدين أبو اسحاق ابراهيم بن شهاب الدين أبى الثناء محمود

ابن سليمان الحلبى وهى قصيدة ضربت فى الابداع بسهم مصيب وربت من البيان فى روض يانع ومرعى خصيب ونصها :

وصلنا السرى وهجرنـا الديـارا وجئنـاك نطوي اليـك القفـارا
أتينـاك نحدو البكـا والركابـا ونيعث أثـر القطار القطـارا
اذا أخـذت هذه فـى الربـى صعـودا أبى ذلك الا انحـدارا
وان فاض مـاء لفرط الحنين ورجـع حادي السرى عـاد نارا
كأنا بـه وهـو يجري دمـا وقوف علـى الخيف نرمى الجمارا
أتيناك سعيـا تنادي البـدارا الـى سيـد المرسلين البـدارا
الى أشرف الخلق فـى محتـد وأحمـى جوارا وأعلـى تجـارا
الى مـن به الله أسرى اليـه ومـا زاغ ناظـره حـين زارا
ولمـا نزعنـا شعـار الرقـاد لبسنا الدجـى وادعنـا النهـارا
نميل من الشـوق فوق الرحـال كأنا سكـارى ولسنـا سكـارى
نجافى عـن الطيـف أجفاننـا فـلا نطعم النـوم الا غـرارا
ونسري مـع الشوق انى سـرى ونتبع حادي السرى حيث سارا
ونسئـل والـدار تدنـو بنـا عن القرب فى كل يـوم مـرارا
ومـا ذاك أنـا سئمنا السـرى ولكـن دنونـا فزدنـا انتظـارا
اذا البـرق عارضنـا موهنـا حسبنـا سنـى طيبة قـد أنـارا
فنفري (1) بادرع تلك النيـاق أديـم الفـلا غدوة وابتكـارا

1) فرى يفري الارض سارها وقطعها .

ونرمى بهن صدور الفجاج كأنا نشن عليها مغارا
اذا رقصت فى الفلاة المطى جعلنا الدموع عليها نثارا
تسابق أرجلها فى السرى يديها وتشكو اليمين اليسارا
ونجمع بين السرى والمسير ونجفو الكرى ونعاف القرار
وكيف القرار الى أن نراك وتدنى المطى اليك المزارا
ومن كان يأمل منك الدنو أيملك دون اللقاء اصطبارا
ترى تنظر العين هذا البشير يرينى على البعد تلك الديارا
لأعطيه روحى سرورا بها وأوطيه طرفى وخدي اعتذارا
وامسح عن أرجل اليعملات باجفان عينى ذلك الغبارا
وأهدي على القرب منى السلام وحسبى بها رتبة وافتخارا
وأكتب شوقى بماء الدموع بسيطا اذا اللفظ كان اختصارا
وأفدي بما طال من مدتى بطيبة تلك الليالى القصارا
ترى هل أناجى هناك الرسول جهارا كما نرتجى أم سرارا
وأعلم أنى على بابه وقفت وقبلت ذاك الجدارا
وماذا أقول وكل الورى نشاوى هنالك مثلى حيارى
وانشد يا شافع المذنبين أجر من بباب حماك استجارا
أقلنى فقد جئت أشكو الذنوب اليك وأنت تقيل العثارا
فكن شافعى يوم لا شافع سواك يفك العناة الاسارى
فمالى سوى حق هذا الجوار اليك ومثلك يرعى الجوارا
وانى قطعت اليك القفار فقيرا أقل ذنوبا غزارا

وفى قطعها لـك فضل على ... ولـو خضت دون القفار البحارا
ولـو أستطيع قطعت الزمان ... وأنـت المنى حجـة واعتمارا
ومـا كنـت أظعـن الا اليـك ... اذا مـا ملكت لروحـى اختيـارا
حمـى حـل فيه نبـى الهدى ... فأضحى به أشرف الارض دارا
فيـا فوز من كل عـام أتـاه ... ويا فـوت من غاب عنـه خسارا
شممنـا الشذا من مبادي الحجاز ... فخلنـا العبير أعـار العـرارا
فواهـا لهـا نفحـة أذكـرت ... هواي وأذكت بقلبـى الشـرارا
اذا خطـرت فى الربـا سحـرة ... وجـرت ذيـولا عنى الغار غارا
يمانيـة رابهـا أنهـا ... بطيبـة مـرت وجـرت ازارا
على من سرت من حمـاه السلام ... وحيـا الحيا ذلـك الربـع دارا

ووصلنا الى المدينة النبوية الكريمة بقلوب مسرورة بالوصال ، محزونة بما نتوقعه بعد ذلك من قرب الارتحال :

مـا يقتـل الليل الطويل سهـرا ... غيـر محب خائـف أن يهجـرا

فدخلناها عشية يوم الاربعاء الثالث والعشرين من ذي الحجة مـن العام المذكور ، واليوم قد ولى شبابه ، والمساء قد استحكمت أسبابه :

والشمس تجنح للغروب مريضة ... والليـل نحـو مغيبها يتطلـع

ولما حططنا بها رحال الامام ، وخلعنا على عطف الصلاة بـرد الاتمام (2) تسارعنا الى الروضة الشريفة المقدسة تسارع الطير الـى

---

2) وجعلنا على عطف برد الالتئام .

الاوكار ، وتسابقنا تسابق الخواطر مع الافكار ، وكنا ظننا أن الدموع نفدت ، وان نيران القلوب خمدت ، فتراكمت من العيون سحبهـا ، وتزايد من القلوب لهبها ، وأخذنا بعد السلام فى شرح ما فعلت الاشواق وان كانت الاحاطة بوصفها تكليف ما لا يطاق ، وجرى الامر كما سلف من خلوات معهودة ، وقلوب ببرد المغفرة معمودة ، وبتنا نطفىء نيـران الاشواق بماء العبرات ونناذي رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن أمام الحجرة لا من وراء الحجرات ،

(ولما وقفنا للسلام تبـادرت   دموعى الى أن كدت فى الدمع أغرق)
(فقلت لعينى هل مع الوصل عبرة   فقالـت ألسنـا بعده نتفـرق)

ولما تحقق السير عن ذلك الحما ، وأشأم حاد كان بالامس أتهما ، أجريت الدموع وحرمت الهجوع ، وأضرمت بنيران الزفرات الاكبـاد والضلوع ، وانقطع بى الرجاء ، وضاقت على الارجـاء :

قالوا الرحيل وما تملت باللقـــا   عينى ولا امتلأت بغيـر مدامـع
فتيقنت روحـى بـأن مقالهـم   أن يصدق الحادي أشد مصارعـى
ووقفـت بين تأمـل وتململ   يبدو السرور على فؤادي الجازع
حيران لا أدري بقرب رائـق   أذري المـدامع أم لبعـد رائع

وودعنا الروضة المشرفة المكرمة ، والتربة المقدسة المعظمة ، فياله وداعا ذابت له الاجساد والتهبت به الاكباد ، وكاد يتصدع الجمـاد وما ظنك بموقف يناجى بالتوديع فيه سيد المرسلين وخاتم النبيئين ورسول رب العالمين ، وخيرة خلق الله أجمعين ، وأنه لموقف تنزع فيه الارواح انتزاعا ، وترى الخلق من هوله صراعا كل يقاسى مرارة مذاقه

ويبوح لديه بأشواقه ، ولا يجد بدا من فراقه ، فوا أسفاه وا أسفـاه . ما أصبر قلبي على هذا الوداع واجفـاه :

عجبـا لقلبـي يوم راعتنا النوى ودنـا وداعك كيف لـم يتفطـر

بوأنا الله تعالى منزلة الكرامة ، بزيارة هذا النبي الكريم ، وأحلنـا من فضله في جواره دار المقامة ، انه ذو الفضل العظيم بمنه وكرمه ، ثم رحلنا مـن المدينة المنورة الشريفة ، فـي يوم الخميس الرابـع والعشرين من ذي الحجة المذكورة وهو غـد يوم دخولنا ووصولنا ، وسرنا مع الركب المصري على عادتنا من وصل السري وحـث المطـي وأنا أجد نسيم طيبة المطيبة أعبق من العنبر الذكي وأعتق من المسك النقـي ، وأحلى على قلبي الصادي مـن المورد العـذب الشهـي .

ولفخر الرؤسـاء الرضـي الموسـوي .

أيهـا الرائـح المجـد تحمـل حاجـة للمتيـم المشتـاق

وأقرعنـي السـلام أهل المصلى وبـلاغ السـلام بعض التلاقي

واذا مـا مـررت بالخيف فاشهد ان قلبـي اليـه بالاشـواق

وأبـك عنـي فطالما كنت مـن قبـل أعيـر الدموع للعشـاق

ضاع قلبـي فانشده لي بين جمع ومنـي عند بعض تلك الحـداق

الى أن وصلنا الى الينبوع في عشي يوم السبت السادس والعشرين لذي الحجة المذكورة وصلناها بعد مسح الجبين ، والانحفار المبين فحللنا منها ببلد أثير ، ذي نخل كثير ، وماء غزير ، عذب نمير ، وخرجنا منها ضحوة يوم الاثنين الثامن والعشرين لذي الحجة المذكور وسرنا والغيظ

يشتد حره ، والهجير يلتظى جمره ، الى أن وردنا ماء العقبة الكبرى على ساحل البحر وهى التى تسمى عقبة أيلة يجتمع عندها الناس من الشام ومصر وغيرهما للقاء الركبان ، والسؤال عن الاحباب والاخوان ،

عارضا بى ركب الحجاز أسائلـــه متى عهده بأيام جمع
واستملأ حديث من سكن الخيف ولا تكتباه الا بدمعى
فاتنى أن أرى الديار بطرفى فلعلى أرى الديار بسمعى

وصلنا اليها فى ضحى يوم الخميس السادس عشر لشهر اللــه المحرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ثم تقسمت الركبان فبعض انقلب الى الديار المصرية وبعض ذهب الى البلاد الشامية :

الا بلـغ اللـه الحمى من يريـده وبلـغ اكنـاف اللوى من يريدها

فكنت ممن آثر زيارة تلك البقاع السامية الكريمة ، واستخـار الله تعالى فاختار له أفضل الغنيمة ، ورحلنا م نالعقبة فى ليلة يوم السبت الثامن عشر من شهر الله المحرم المذكور ، فأول ماء لقيناه بعد العقبة المذكورة ماء غضيان ثم ماء الغمر ثم ماء التجان ثم سرنا فأتينا عقبـة الصفا ، وقد اشتدت جمرة القيظ ، والنفـوس من جواز تلـك العقبـة الكئـود تكـاد تميـز مـن الغيـظ . ومـا زلنـا نسيـر فيشتـد حر الشمس ، ويشبه اليوم الامس ، الى أن وصلنا الى مدينة الخليـل عليه السلام فدخلناها عند العصر من اليوم الخميس الثالث والعشرين لشهر الله المحرم المذكور ، فاستراحت الابدان وتلاقى الاخـوان ، وتفرق الركب ، وتألف الصحب واجتمع كل بخليله ونسيبه ، وأخد من

سماط أبيه الخليل عليه السلام بسهمه ونصيبه ، فقضينا ما تعين من الزيارة ووجب من السلام ، ولقيت من أمكن من أولئك الفضـــلاء الاعلام ، وخرجت منها فى عشى يوم الجمعة من غد اليوم المذكـور ، وسرنا والعشى قد طفل ، وعطفه فى الثوب القصير قد رفل ، والشمس قد خجلت من فراق الحاضرين ، صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، فوصلنا الى مدينة القدس الشريف فى صبيحة يوم السبت الخامـــس والعشرين من شهر الله المحرم المذكور ، وبها اجتمعت بأخى محمد حيث تركته بعدما جال فى أطراف بلاد الشـام ، وكـاد يبلغ مدينـة السلام . فتلاقينا بتحية الاخوان اذا التقيا بعد البين ، وحظيا بعـد الاثـر بالعـين ، فكان بذلك لنوم عينى سبيل وعهدي بالنـوم عهد طويل، وأقمنا بالقدس الشريف الكريم ملتمسين البركة فى ذلك الحرم العظيم الى أن خرجت منه بالرغم ، وتزودت بالغـم ملتفتا الى تلك الربوع ومكفكفا واكف الدموع فبنت عنه مرتحلا ، وفيه أنشأت عاجلا وأنشدت مـرتجـلا :

خليلى فى ربع الخليل منى نفسى ... وفيك فؤاد أنت يا حرم القدس
أحـن الى تلقاء هذا صبابـــة ... وألمح من هذا سنى البدر والشمس
مواطن لو أنصفتها جئت زائـرا ... اليها على العينين والخد والرأس
ولو أننى أعطى مرادي بينهـــا ... لما رحلت من دونها ابدا عنســى
وكيف رحيلى عن معاهد لـم تزل ... على الحل والترحال لى غاية الانس
أروح وأغدو بينها شيقا لهـــا ... وأصبح فيها مستهاما كما أمسى
بلاد خليل الله والمسجد الـــذي ... صلاة بـه فى الاجر كالمائة الخمس
ومـوطـن معـراج النبـى محمـد
وقـد هب غمـض النوم فى الاعـين النعـس

وموطئ أقدام الرسالة والهدى　　وقدلان صلد الصخر من ذلك اللمس
أيا مسجد قد بارك الله حوله　　وعظمه فى العرب والعجم والفرس
ويا أربعا قد أظهر الله فضلها　　وكرمها فى اليوم والغد والامس
رحلت وفى قلبى لاجلك لوعة　　فلم يبلها منى الزمان ولم ينس
وأزعجنى عنك النوى وهى دائما　　تعاملنى فى جمع شملى بالعكس
وعندي الى لقياك أي تشوق　　به اغتدي دهرى وألحد فى رمس
عسى عودة أو زورة تنقع الظما　　وتخلع عنى للظما وارس اللبس
وان كانت الاخرى ولم تك أوبة
فاهدي سلامى فى القراطيس بالنفس

وكان خروجنا من القدس الشريف فى عشى يوم الجمعة أول يوم فى صفر من العام المذكور . وسرنا والعيشة تجود لزمامها، وذكاء تتشحط بدمائها ، والفلا تذوب من كدنا خجلا ، والنجم يرعد من سرانا وجلا ، الى أن وصلنا الى مدينة الرملة ، فى عشى يوم السبت من غد اليوم المذكور ، والاصيل قد قضى ، ودين اليوم قد انقضى :

(والشمس تنثر زعفرانا فى الربى　　وتفت مسكتها على الغيطان)

فنزلنا بها بمدينة غضة المنظر ، حسنة المخبر ، ممتعة بالروض الناعم ، والنسيم الاعطر ، أحسن المدائن ، أزقة وأسواقا ، وأكثرها فواكه وارزاقا . وأملحها بياضا واشراقا ، وابدعها اتصالا بالبساتين والتصاقا ، قريبة من البحر ، بعيدة من الغور كثيرة المساجد والخير ، معتدلة الهواء ، سامية البناء ، واسعة الفناء ، ساكنة المساكن ، مكينة الاماكن ، لائحة المباهج ، واضحة المناهج ، رائقة المنازه ، رائعة المنازل،

مرنة الرباب ، معشبة الشعاب ، هامرة السحاب ، عاملة الجنـــاب ، سافرة المطالع ، وافرة الصنائع ، سابغة المدارع ، سائغة المشارع ، صافية الزلال ، ضافية الظلال ، سارة الاسارير ، زاهرة الازاهير ، معقودة الحبـا ، معهودة الربا ، جليلة العـلا ، جميلة الحلا ، جائشة الجيوش ، معرشة العروش ، فيها جنات من نخيل وأعناب ، طوبى لمبصرها وحسن مئاب ، دخلت بداخلها المسجد الجامع الكبير حيث الخطبة الكبرى ، والجماعة العظمى وهو المشتهر بالجامع الابيض لـه صحن كبير جدا فيه أشجار وأطيار وجب وآبار فيها ماء كثير عـذب نمير ، وفى وسط الصحن مغارة عظيمة كبيرة تفضى اليها أدراج كثيرة ، قد قامت على أقواس محنية وأرجل مختلفة مبنية ، ذكر أن فيها جماعة عظيمة من الانبياء مدفونين يعدهم النساك بالمئين ، زرناها لما يؤثـر عنها من البركات والاعمال بالنيات وعلى باب المسجد المذكور تاريخان منقوشان فى الرخام ، وقدمهما واخصرهما ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيـم » هذا ما أمر بعمارة هذا المسجد الجامع المبارك اياس عبد الله بن جهة الامير علم الدين قيصر رحمه الله ورحم من ترحم عليه ، سنة ست وثمانين وخمسمائة وخرجنا منها عشية يوم الاحد الثالث من صفر المذكور ، وسرنا والشمس قد عصفرت ابرادها ، ووردنا فى العين الحميئة ايرادها ، وبتنا نركب ظهر السرى ونقطع بالذيل عمر الكرى ، حتى سفرت الجونة عن نقابها ، ونكصت النجوم على اعقابها ، وأحرقت فحمة الليل عنبر الصباح ، وخبا من النجوم الزهر كل مصباح ، وهتف داعى العترفان (3) ، وحيعل المثوب بالاذان ، وأصبحنا على عسقلان فى صبيحة الاثنين من غد اليوم المذكور ، وهى مدينة كبيرة ، مفروشة بالرخام عجيبة وكانت دار ابراهيم عليه السلام وفيها آثار النمرود من كنعان ، فسرحنا بمسرح آمال ، جنتان عن يمين وشمال ، روضات قد اينعت فيها الازهار ، وانبعثت الاعين وعنت الاطيار ، فحللناها بلـدا

---

3) العترفـان : الديـك

أقفر وخرب ، وأكل الدهر على محاسنها وشرب ، وترك ساحته كدارمية بالعلياء ، وغادره منقض الفناء ، متقلص الافياء فأطلت الركوع والسجود فى ذلك المسجد الحافل ، وظلت أتبرك بما تضمنه من الاثار الجلائل ، وجعلت أجول معتبرا بين تلك المنازل واتمثل بقول القائل :

ما للمنازل لا نجبن حزينا — أصممن أم بعد المدى فبلينا
دمن تقادم عهد هن على البلا — فلبثن من بعد الشهور سنينا

من مدينة مأثورة الفضل قليلة النظير فى الحسن عديمة المثل لم يبق منها الا رسومها الواهية وأطلالها العالية البالية ، وازقتها الخاوية الخالية :

طلول اذا دمعى شكى البين بينها — شكا غير ذي نطق الى غير ذي فهم

فالاعلام طوامس ووفود الابواب روامس والماموم بالامام مزجور (4) والدار خالية ، والباب مهجور ، استغفر الله الا روضها الناعم ، وأرضها المنسابة المذانب انسياب الاراقم ، وانتظام الشجر والبحر ، والنسيم الزدري بعنبر الشجر ، فان المحاسن فى ذلك راقت وصفا واتسقت رصفا ، والامواج تنعطف صفا وتنقصف قصفا وتأتى خاضعة الى البر فتقبل منه كفا وتتيه آونة فتنعطف عنه عطفا وتتثنى عن الالمام به عطفا :

تتكسر الامواج فيه فتنثنى — بيد الصبا مبيضة أعطافها
فكان شهب الخيل قد غرقت به — فطفت على أمواجه أعرافها

---

4) (ن 3) الماجور .

فارقناها يصاحبنا الهواء الرطب ونسيمه ، والارج العنبري وتسنيمه ، والنفس النجدي الذي هو فى الصحة شقيقه وقسيمه ، وقد احدقت البساتين بها أحداق الهالة بالقمر ، والاكمام بالثمر ، وامتدت بطحتها الخضراء امتداد البصر فكل توقع لحظة لجهاتها نضرته اليانعة قيد النظر ، وما زلنا نسير على بساطها الاخضر ، وأديمها الانضر ، الى أن وفينا مدينة (غزة) فى ظهر يوم الاثنين الرابع لصفر المذكور فأقمنا بها الى أن خرجنا منها فى عشى يوم الثلاثاء خامس صعر المذكور وقد تضخمت صفحات الربى بخلوق الاصيل وأرزمت المطايا الى الدعة أرزام الفصيل وسرنا نحث فى الرحيل ونصل المساء بالصباح والغدو بالاصيل الى أن وصلنا الى (قاطية) والظلام يزملنا بنجاده واليباب يرفعنا الى ظهور روابيه من نجاده فى نصف ليلة الاحد العاشر لصفر المذكور وهى بليدة عجيبة منقطعة فى ذلك الرمل غريبة جدبها خصب وشيبها شبيبة ، يمتد بين يديها من كلا جنبيها رمل أفيح أغبر لا ماء ولا شجر ولا ظل ولا ثمر قد نبذت بالعراء ، ووضعت فى وسط الصحراء ، فهى تشتكى ظماء وتستقى على البعد ماءها ، لكنها حسنة المنزع ، متسعة المربع ، تقبل من الحسن بثمان وتدبر بأربع لولا ظلم نهيها وأمرها ، وشوب حلوها ومرها ، وعظم ضرها للوارد وقهرها ، تفتش أمتاعه ، وتنهب رقاعه وتستلب من بين يديه ، فلا بيعه ولا ابتياعه وفى مثلها يغضب الحليم فيحذر ، وينفث المصدور فيعذر ، قال بعض العلماء بلاد الحجاز آخرة ولا دنيا ، ومصر دنيا ولا آخرة والشام دنيا وآخرة وقاطية لا دنيا ولا آخرة ، ولما رأيت هبوب ريحها ، ودبيب تباريحها ، وتصريف صروفها ، وتحريف حروفها ، وتأملت الخائن فيها فاذا هو مؤتمن والتمست العدل فيها فوجدته كالماء فى دار عثمان ، له ثمن ، زويت وجهى عن محاسنها ، وساويت بين صفوها وآسنها ، ورميت بحبلها على غاربها ، وضربت وجوه مشارقها بمغاربها وكرهت علها ونهلها ، وتركتها وتركت جملتها لها ، وخرجت منها فى عشى اليوم المذكور ، والشمس

مرضى أصائلها ، والربا معصفرة وصائلها ، وسرنا نطوي مسافة البيداء، طى الرداء ، ونطير فى جو الرجاء بجناح النجاء ، الى أن وصلنا الى مصر فنزلنا بها فى ليلة يوم الخميس الرابع عشر من صفر المذكور وقد أظلنا الليل . كظهر الفيل ، التف جنحه بأهابه ، وافتر فجره عن نابه وكـأن سماءه سندس عليه نثير تفاح ، وكأن بدره يفتش عن صحبه بمصباح ، ومر يحدوه السير الى أن لف الثريا فى ملاءته الفجر ، فوسنا سنة النصب وهدأنا هدأة الوصب ، فما صحت العيون من نشوة رقادها ، الا لتغريد الطير فى أعوادها ، وذكاء قد أذكت قبسها علينا ، وسفرت فكشفت عـن صبحتها الينا ، ونسيم الروض يروي الطيب ويسند ، وبعض النبلاء يـــردد وينشــد :

بتناوبـات الورد يضربه النـدا ... فى ظل أخضر بـارد الانـــداء
والليل يخفـى نفسه فـى نفسه ... والصبح كشـاف لكـل غطـــاء
وكأنمـا الاصبـاح ينشر مهرقـا ... أثر المداد بــه مــن الامســاء

فأجابه صاحبه على انشاده كأنه ما فطن لمراده :

قــم ترى الليل كيف رق دجـاه ... وبــدا طيلسـانه ينجـــاب
وكأن الصبــاح فى الافــق بــار ... والدجا بين مخلبيــــه غــراب
وكــأن السمــاء لجــة بحــر ... وكأن النجــوم فيهـا حبــاب

فعجبت من ذكاء المنشدين ، وأديت بعد الطهارة ما حل من الدين وتقاضينا جواب القطعتين فأنشدتهما لابن جرج رضى الله عنه :

امــا ذكاء فلم تصفر اذ جنحت ... الا لفرقة ذاك المنظــر الحسن

ربى تروق وروضات مزخرفة وسابح (5) مد بالهطالة الهتن
وللنسيم على أرجائه حبب يكاد من رقة يخفى على الغصن

وأنشدتهما لابن صارة رضى الله عنه :

تأمل حالنا والجو طلق محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى يجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثري تعاين وجهها فيه السماء

(وبحر النيل) العجيب قد فاض فيضا ، وركضت سيوله فى البسيطة ركضا وزاد امتلاؤه على حده فسقى بالزيادة أرضا ، وانسلت صلاله فسكنت الرياض ، وقد يسكن الصل روضا ، وتلك الاساطيل قد صففت من حوله صفوفا ، وكفت من موجه كفوفا ، وسلت لاعناقه من مجاذبها سيوفا كثيرا ما كنا نركبه ولا نرهبه ، ونستصحبه ولا نستصعبه ، نرد على طريق اليه ونعوج عن غيره ، ونعرج عليه ، ومع ذلك نواخى الفضلاء ونوالى العلماء فممن لقيته بمصر من كبراء المتصوفين ، وفضلاء المتبتلين العابدين الشيخ العالم الصوفى الولى نجم الدين ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف القرشى الحجازي نفع الله به . فرع الحسب الصميم ، ونبع الشرف العظيم ، وطبع الفضل العميم وطوع التخلى الكريم شرف الى سماء الكرم مرقاه ، وأدب من ماء الكوثر سقاه ، وكأطيب الثمر تخيره وانتقاه ، سلف له فى العالم اسلاف كرام وثبت له فى قريش نسب يحق له اجلال واكرام ، واستقر له فى التصوف قدم واقدام ، يجب له احتفاء واحترام وجل الكمال والكلام وصاحب الحال والمقام وحامل فخر الاقلام ونجل السراة الاعلام ، وأجل بيوت الاسلام غرر الزمن البهيم ، وموارد الآمال الهيم :

(5) ن 2 وسائح .

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم ، وأفنوا فى اكتساب المجد وفرهم وشبابهم ، رضى الله عنهم وارضاهم :

ثم زادوا أنهم فى قومهم غفر ذنبهم غير فخر

ورث الطريقة الصوفية عن آبائه الكرام وأجداده ، واستقل بشيخها فلم يدعها معه أحد من أنداده فغدا صدر صدور المشيخة الصوفية، والراسخ القدم فى رتب الولاية الربانية ، والمجلى فى حلبة رواة الاحاديث النبوية والمتميز بجملة وافرة من اللغة وفنون العربية ، صوام نهاره ، قوام ليله لا تلحقه سئامة الملل ، ولا تتعلق به فترة الكسل ، بالغا درجة التوكل بالقول والعمل ، فهو الان فى ذلك القطر ، عظيم القدر شهير الذكر ، له كرامات تربى على العد والحصر ، وفراسات تغوص على السر ، فى موج الفكر ، فتبرز المكتوم والكنون ، وتنجز المظنون والمضمون وما يعقلها الا العالمون ، لقيته بمنزله من مصر المحروسة فسمعت من لفظه جملة وافرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن جملة مسموعاته كتاب مسلم بن الحجاج وكتاب الشفا للقاضى أبى الفضل عياض رحمه الله وغيرهما ، وقد سمعت عليه بعضهما . وتناولتهما من يده المباركة وأخبرنى رضى الله عنه أنه لبس خرقة التصوف كما ألبسنيها من يده المباركة عن والده ولبسها والده عن جده الولى الاكبر أبى الحجاج يوسف المشتهر بالاقصري ولبسها جده عن الشيخ أبى مدين دفين تلمسان رضى الله عنه ، قال وكان اجتماع الجد أبى الحجاج يوسف المذكور به بالارض البيضاء ببلاد السودان على خرق العادة ، وللارض ألسن ذاكرة تقول الله الله .

وسمعت من لفظه غيرهما وأجازنى جميع ما يحمله ويرويه وكتب بخط يده ما نصه قال الشيخ الكبير الجد يوسف عبد الرحيم الاقصري

قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، قيل لى من قبل الله تعالى من جاءك من أهل الطلب فدله عليها وأما الوصل فمنا فمن رأيناه صادقا محقا لدينا ، وصلناه الينا ومن رأيناه لا يصلح للوصول جعلناه خادما لنـا وأجرته علينا ، ومن رأيناه غافلا عنا طردناه من بين أيدينا ، فانه لا يصل الـى المحبوب من هو بغيره محجوب ، وذكر لى رضى الله عنه قال مما وصى بـه الجد الاكبر أبو الحجاج يوسف المذكور خواصه وأصدقاءه قال : اذا أدركتكم الضرورة والفاقة فقولوا حسبى الله ربى فالله يعلم أنه فى ضيق وذكر لى أيضا رضى الله عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبـى صلى الله عليه وسلم فى النوم بعد أن سأل الله تعالى ذلك وقد كانـت أصابته فاقة فشكى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يـا بـر يـا رحيم ، ألطف بـى فى قضائك ولا تول أمري أحدا سواك حتى ألقاك فلما قالها أذهب الله تعالى فاقته قال فكان رحمه الله تعالى يوصى بها أصحابه وأحبابه ، وأنشدنى لبعض الفقراء وكتبهما لـى بخطـه :

لئن شـت الزمان لنـا جسومـا   فقد جمـع الوفـاء لنـا قلوبـا
وان أصبحت من عينى بعيـــدا   فلست تزال من قلبى قريبـــا

وأنشدنى لفظا لبعضهم وكتبهما لى بخطه رضى الله عنه :

ما أنت غيري فأخشى أن تفارقنى   فدتـك نفسى يـا روحى فأنت أنا
لئن تباعدت الاجسام وافترقـت   فالروح واحدة والسر يجمعنـا

وممن لقيته بها من بلغاء الخطباء ، وفضلاء العلماء الشيخ الخطيب العالم الفاضل علم الدين أبو القاسم بن عبد الله بن أبى القاسم الشافعى أبقى الله بركاته سراج من سرج الائمة وهداة الامة ومن يقتدي بأنواره ،

ويهتدي بآثاره فى شبه الظلم وظلم الشبه وغياهبهما المدلهمة كلما تقلب تغلب . وكيف ذهب اذهب ، واينما أصاب أصاب ، وحيثما ثاب أثاب فأهل ولائه مهتدون بعلائه لا يطلع طالعهم الا ومغيب شهابه ظلاله ، ولا يغيب قمرهم الا وقد لاح هلاله ، فايادیه تستهديها المحافل ويستجديها الطالع والآفل يجتنيها الجناة على اختلاف طبقاتهم ، وتباين درجاتهم وقد طاب فيهم خيرها وخبرها وحسن فى مساري أسماعهم وأبصارهم مسلكهـا وأثرها فرفعت بأيدي الايدي راياته ، وتليت بالسنة الحمـد سورتـه المعجزة وآياته وامتدت فى مجال التأييد والتأبيد غايته وافترت به ثغور الايام عن مباسمها ، ونظمت مئاثره الاثيرة فى سلك أعيادها ومواسمها وحفظت بحفظ علومه العلمية فى عالمها ومراسمها ، وحليت بحلى معارفه السنية السنية صفحات لباتها ومعاصمها، فأصبحت الارض مشرقة بأنوراه ومبتهجة بئاثاره ، قد راقت نعمة ونضارة ، ورقت له لدونة وغضارة ، وعمت برفادتها البدو والحضارة فأقسم بما لديه من أحكام اليراعـة وأحكام البراعة وبواعث الاستطاعة باعباء السمع والطاعة ، وانه لقسم لا يأثم عاقده ، ولا تحل الا بأكف البر معاقده لقد وردت لما وفدت موارد خطابه ، وحصلت لما وصلت فى حلبه خطابه وتولعت لما تطلعت الـى بسره وأرطابه ، فتفيأته ظلالا ، واستسغته زلالا واستنرت بلؤلؤ غرته ، وآلاء مبرته قمرا وهلالا فانشدته متمثلا وماثلا بين يديه الكريمـة ترويا وارتجـالا :

اليكم صرفت النفس وهى مروضة وجئت بقلبى نحوكم وهو طيـع

وان كنت سنى الاخاء فانني بحكم الهوى فى حبكم متشيـع

لقيتـه أولا بأحواز مصر ببلد (دمنهور) ثم لقيته ثانيا بفسطاط مصر وهو بها العالم علم الدين المشهور ، فسمعت من لفظه فى الاولى حديث الرحمة المسلسل بشرطه وغير ذلك من مروياته ، وأعلـى

مروياته ، وقرأت عليه بلفظى فى الثانية جميع الاربعين حديثا البلدانية للحافظ أبى طاهر السلفى رضى الله عنه وحدثنى بها عن الامام أبى القاسم عبد الرحمن بن مخلوف بن عبد الرحمن ابن جماعة الاسكندري قراءة منه عليه بلفظه بها عن جعفر بن على بن أبى البركات الهمدانى سماعا عن الحافظ السلفى سماعا ، وحدثنى بها أيضا عن أبى الحسن على بن عمر الوانى الصوفى قراءة عليه وهو يسمع بالقاهرة عن سبط السلفى سماعا متصلا ، وحدثنى بحديث الرحمة وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنى به أبو الحسين يحيى بن عبد السلام الاسكندري وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنى ابن عمى أبو بكر ابن عبد السلام الصفاقصى عرف بابن المقدسية وهو أول حديث سمعته منه عن الحافظ السلفى ، وهو أول حديث سمعته منه حضورا بسنده فيه وقرأت وسمعت أيضا عليه غير ذلك من كتب الحديث وغيرها وأجازنى اجازة تامة مطلقة عامة وكتب لى بخطه وأنشدنى لبعض المشارفة :

ألا يا راحلا فى قفر عمر | يكابد فى السرى حزنا وسهلا
بلغت نقى المشيب وجزت عنه | وما بعد النقى الا المصلا

وأنشدنى للصاحب أبى القاسم بن عباد .

أيا قمرا تبسم عن اقاح | ويا غصنا يميس مع الرياح
جبينك والمقلد والثنايا | صباح فى صباح فى صباح

وأنشدنى لبعضهم :

قلت للاهيف الذي فضح الغصن | كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندي ريح | قلت أخشى يا غصن ان يستميلك

وأنشدنى لبعضهم أيضا :

تثنى عطفه خطوات دل ... اذا لم تثنه نشوات راح
يميل مع الوشاة وأي غصن ... رطيب لا يميل مع الرياح

وأنشدنى لابن سنا الملك :

يا عاطل الجيد الا من محاسنه ... عطلت فيك الحشا الا من الحزن
فى سلك جسمى خيط الدمع منتظم ... فهل لجيدك فى عقد بلا ثمن
لا تخش منى فانى كالنسيم ضنى ... وما النسيم بمخشى على غصن

ودخلت على الشيخ الاكبر ، دوة الدهر ووحيد العصر ، أبى حيان محمد بن يوسف بن حيان المتقدم الذكر ، منزله من القاهرة المعزية مجددا عهدا ومجردا من فوائد ما لا أجد منه بدا ، فقرأت عليه أجزاء عديدة ، وأخذت عنه أشياء مفيدة وقد استوفيتها فى برنامج روايتى ، ومما قرأت ثانيا عليه من نظمه قصيدة طويلة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولها :

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول ... العقل مختبل والقلب مبتول
هزت له اسمرا من خط قامتها ... فما انثنى الصب الا وهو مقتول

وقرأت عليه من نظمه قصيدة بارعة يصف فيها غرناطة وطنه ويبث فيها شوقه وشجنه ويندب معاهده بها ومشاهده ، ويذكر مصادره بينها وموارده ، وأولها :

هل تذكرين منـــازلا بالاحبـــل   ومنازها حفت بشطى شنـــل (6)
ومشاهدا ومعاهـــدا ومناظـــرا   للقاصرات اليعملات الذبـــل (7)
حيث الرياض تفتحت أزهارهـــا   فشممت أذكى من أريـــج المنـــدل
والطير تشدو مفصحـــات بالغنـــا   فوق الغصون الناعمات الميـــل
فتثيـــر للمشتـــاق داء كامنـــا   وتذيـــل صائن دمعه المتهلـــل

وأخذ يصف لى أشواقه الى الاندلس الكريمة ، ويتأوه لذكر عهوده القديمة ، ويتبع الزفرة بالزفرة، ويصل العبرة بالعبرة ويقول والله لقدكنت أرتحل اليها لو كانت لى طاقة أو قدرة ، وأنشدنى لنفسه ودموعـــه تفيض نهرا ، وتبل منه صـــدرا ونحرا ، وتسيل على بسيط خدوده فتسلك منهـــا سهـــلا ووعـــرا :

يا فرقة أبدلتنى بالسرور أســـى   واسهرت ناظرا قد طالما نعســـا
انى يكون اجتماع بين مفتـــرق   جسم بمصر وروح حـــل آندلسا

فبكيت والله لبكائه ، ودعا الله فى رجوعه اليها فامنت على دعائه، ثم شهق شهقة حسبت فؤاده بها منفطرا ولم يزل بقية يومه منكسرا .

ان للجنـــة بالانـــدلـــس   مجتلـــى عيـــن وريـــا نفـــس
فسنـــا صبحتهـــا مـــن شنـــب   ودجـــا ليلتهـــا مـــن لعـــس
فاذا مـــا هبـــت الريـــح صبـــا   صحت واشـــوقـــى الى أندلـــس

---

6) شنل : نهر يقع جنوب غرناطة ، « انظر المعجم» وسمي ايضا سنجيل وشنيل هو بالاسبانية Genil أو Xenil والاسم اللاتينـــى Singilin

7) ن 2 : للقاصرات الناظرات الرفل (والناظرات اي الحسن الناعم ، واليعمل الجمل والناقة المطبوعان على العمل ، والدبل الرماح الذوايل الدقيقة .

ثم خرجنا من مدينة مصر فى يوم الاربعاء الموفى عشرين لصفر المذكور فركبنا فى بحـــر النيل العجيب جواري منشئــات ، عـذارى حبشيات وناسكات على الماء ماشيات ، تطلعنـــا على تلك الإيـــات ، وتطالعنا بحسن الآيات وتذكرنا بهذه الأبيـــات :

نزلنـــا بمصر وهى أحسن كاعب   فقيدة مثـل زانهـا كرم الفعـل
فلم أر امضـــى من حسام خليجها   يلوح على أفرنده صـدأ الصقل
اذا سأل لابل سل فى متهالـــك   من الارض جدب طل فيه دم المحل
غداة جلا تبر الشعاع متونـــه   ولاشك أن الماء والنار فى النصل
ولا مثل أعطاف الغصون كأنهـــا   شمائل معشوق تثنى من الـدل
ينظم تعويذا لها سبح الدجا (8)   وينثر اعجابا بها لؤلـؤ الطـل

ورحنا على البحر وقد سكن هائجه وركن مائجه ، وأقبلـت الزوارق تهفو بقوادم غربان وتعطو بسوالف غزلان تخالها فى سمائـه أهلـة مكسوفة . وتحسبها فوق مائه جريدة دهم مصفوفة . وزورقنا بينهـا يسرع فى اندفاعه . وقد استدرنا تحت ظل شراعه فحسبته خـوف العواصف طائرا مد الحنان على بنيه جناحه ، وما برحنا نسرع سفرا . ونسير نفرا ، ونرتشف من ماء النيل كوثرا ، ونتجلى من حبابه زهرا . ومن جوانبه زهرا . ونتبوأ من جناته منازل فتحت أبوابها فدخلناهـا زمرا ، وانشدتها حين ودعتها .

وفتحت أبواب السهاد لناظـري   وجعلت ليلـى بالنجوم مسمـرا

الى أن وصلنا الى (فوهة) ضحوة يوم الجمعة الثانى والعشرين لصفر المذكور وهى بلدة من أحسن بلاد ذلك الساحل مرءى وأخصبها مرعى . وأملحها مرسى . وأمنحها أنسا واينعها روضا وأنفعها أرضا

---

8) السبج الحرز الاسود وفى الاصل سبح (وهو خطا) .

فأممنا بها برهة ثم قطعنا النيل أمامها عشية وسرنا فى الخليج راكبين بين جنات معروشات وغير معروشات وبلدان موشاة بالبطاح منقوشات وروضات هى مرتع النواظـر ، ومتنفس الخواطر قد أخـذت أدوات الجنان . وضحكت عن العبقري الحسان ، وأتت من الحسن والاحسان بما يقصر عن وصفه لسان القلم وقلم اللسان ، الى أن وصلنا الـى الاسكندرية فدخلناها فى صبيحة يوم الاحد الرابع والعشرين لصفـر المذكور ، ونزلنا منها بالمدرسة الموسومة بالعلمية منزلا تشتهيه الانفس وتلذ له الاعين وتسبح من حسنه الافواه والالسن ، وأقمت مترددا هـل يتسنى لى السفر أم القعود ، وهل أعود فى البحر أم أبقى على توبتـى منه لا أعود ، يدبر ابن آدام والقضاء يضحك ، الى أن تهيأ مركب ابـن خلاص للسفر الى تونس فلما كمل فيه الوسق وركب فيه الخلق قلـت الدخول فيما دخل الناس فيه هو الحق وجعلت أفضل البحـر فتقـرب الاوطان ، ونسيت هوله وما أنسانيه الا الشيطان ، فاستخرت اللـه تعالى وركبت فيه أنا وأخى محمد بمرسى المنار فى عشى يوم الاحـد ثانى يوم من شهر ربيع النبوي المبارك من عام ثمانية وثلاثين المذكور ثم رفع الشراع وسرنا حتى اذا كنا بالمواسط أمر الله باجتماع الرياح المختلفة ، وتفريق تلك الامة المؤتلفة ، فضربنا فى البحار يمينا ويسارا وسرنا اقبالا وأدبارا ، ورأينا بروقا وأمطارا ، وكسرنا أقساطا وجرارا ، وقدرنا الهلاك اما انطمارا ، واما انكسارا ، فلما انتهينا الى قريـب طرابلس الغربية بعث الله تعالى ريحا شديدة غربية ضربت من تجاهنا فى وجوهنا ، وردتنا على أعقابنا وأدبارنا الى أن دخلنا بها مرسـى العمارة فى عشى يوم السبت الموفى عشرين لشهر ربيع الاخير من العام المذكور بعد أن كابدنا نصبا وعناء وعدمنا زادا وماء ، وكدنانموت غرقا وجوعا وظمئا . والاخبار كلما كانت أشد على من شاهدها كانت أطرب على من سمعها والاسفار تسفر عن أخلاق الرجال وتجول بالمرء فى كل مجال لا جرم أنى لقيت بها انجادا واغوارا وظلمات وأنوارا :

والناس كالناس الا أن تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها وانما يقع التفضيل بالثمر

(وهذا المرسى) لما رسينا به قام رئيس الجفن المذكور رجل من الارذلين يلقب بالغنش فقال يا قوم قد رمنا السفر فما تيسر لنا فلابد لى من الاقامة أيام الشتاء هنا على كل حال وهى ثلاثة أشهر لامحالة فمن أراد السفر فى البر غربا أو شرقا فليفعل ثم أظهر لنا العزم على القعود ، وأعطانا عليه جميع المواثيق والعهود ، وأشهد على نفسه شهود السفينة وناهيك بالشهود ، وحلف باللازمة المغلظة ، وايمان الطلاق المؤكدة ثم رفع الى السماء يديه وشرع فى سب والديه ، والدعاء بالذبح على ولديه . فهبط عند ذلك من المركب نحو المائتى رجل مشرقين ومغربين :

تفيض لى من حيث لا أعلم النوى ويسري الى الهم من حيث أعلم

ثم قام فقال لى يا سيدي حفظك الله وأصلحك انى والله أحبك فوجب على أن أنصحك فقلت وما ذلك ، جعلت فداك ، فقال أرى أن تنزل الى البر لتستريح وتكفى هذا الماء وهذا الريح ، وهنا فى هذا البراري دشار يقال له الغماري فصل اليه فان صلح بك أخذت حوائجك وعزمت عليك فقلت له لعمري لقد نصحت وبينت وأوضحت ، وعجبت من فضله ، وشكرته على قوله ، ولم أدر أنه تحيل فيما تخيل ومكر فيما ذكر :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فبادرت مسرعا ونهضت لا مودعا . ونزلت انا وأخى على أن نعود ونرتاد حيث نلتزم العقود :

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبى
فأدبنى هذا الزمان وأهله

وكان نزولنا فى صبيحة يوم الخميس الخامس والعشرين لشهر ربيع الاخير المذكور فساعة وطئنا تراب البر ، وغبنا عن الجفن وعن البحر ، رفع الخبيث شراعه ، ووافق شيطانه الغوى وأطاعه ، وراح وتركنا منبوذين بالعراء ، مطروحين فى وسط الصحراء حيارى فى أمرنا سكرى ، ولا ندري أغربا سلك أم رجع القهقرى ، ولا نلتفت الا الى زفرة حرى ، وعبرة تتوالى وتترى ، فما أم طفل قد قذفها خطب الزمان العنيد ، ببعض مسارح البيد ، فى أرض موحشة المسالك كثيرة المهالك ، قد لمع سرابها ، وتوقدت هضابها ، وصرخ بومها ونغر ظليمها وحضر سمومها ، وغاب نسيمها ، فلما خافت على ولدها من الظلماء الهلاك ، وأجلسته الى جانب كثيب هناك ، ثم عادت فى طلب ماء للغلام ، ليلا يقضى عليه حر الاوام ، فانتهى بها المسير الى روضة وغدير ، وآثار مطى بوارك ، تدل على أن الطريق هناك ، فعادت الى الغلام مسرعة وكل أعضائها اليه عيون متطلعة ، فلما شارفت جانب الكثيب ، رأت ولدها فى فم الذيب ...

بأعظم منى حسرة وتلهفا وأكثر منى حرقة وتوجعا
وأغزر دمعا عندما أقلعوا ضحى ومركبنا أضحى على البعد مزمعا

فما تجرعت أفضع منها غصة ، ولا أفضح منها فرصة وتحملت فقد كل شيء وتجلدت عليه الا فقد الكتب فلم تبق لى جلدا ، ولا عزيت عليه خلدا ، وسقط فى يدي ، وأظلمت الدنيا فى عينى وبقيت ولا تسئل كيف بقاءي ، ودعوت وما قدرت على دعائى وعتبت ولكن :

كأننى كلما أصبحت اعتبه أخط حرفا بأقلامى على الماء

ومكثت فى دشار الغماري النكد لا أملك الا نفسى وأخى عاريا من الثياب خاليا الا من الوجد والاكتئاب ، بين قوم لا يحسن بهم المام ،

ولا ينهاهم عن قبيح شيب ولا اسلام ، ما فيهم الا من يكلح ، ويقسم وجهه أنه لا يفلح :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر .

قد عكم البرد أفواههم ، ووسم الفقر جباههم ، فلا التفت منهم الا الى وجه مكرب ، ولا أدري الى أين انقلب هل الى مشرق أو الى مغرب :

حيران أذهل عن اجابة من دعا باسمى وأوحش فى الجميع الحضر

فأقمنا نبغى فرجة من عقال ، وعرجة الى خير انتقال ، وبقيت هنالك فى بيت الصلاة أتجرع الغصص والج كما يلج العصفور القفص ، اتحيل لهذه النفس لانقذها مما وقذها ، واتخلصها مما تتقلصها ، وأتوسل لاجلاف أخلاف ، أتجرع بينهم مرارة الذل ، وأعدم حتى لمحة الظل :

أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

فلما طال الامر وعيل الصبر ، ولم يبق منهم الا من تسبب فى سفك دمنا وكاد ، وبلغ بالنفس التراقى أو كاد ، قلت لاخى أما وقد حصلنا فى هذا الكرب ، فالاسكندرية أقرب من الغرب ، وأخلص ان سلمنا من العرب ، فلنخرج فلعل الله يسلك بنا للنجاة منهجا ويجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ، فوافقنى على ذلك واستخرنا الله تعالى هناك ، وخرجنا :

فى ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

ليلة يوم الاثنين السابع لجمادى الاولى من العام المذكور ، فتسللنا متفرقين فريقين ، وقصدنا جهة البحر ، ودعونا الله تعالى فى ستر الامر ،

وسرنا فى الماء ليلا تقع العين على الآثار ، وسلكنا بطون الاودية وظهور القفار ، وقلوبنا تطير فرقا ، وتخفق وجلا ، وان رأينا غير شىء ظنناه رجلا ، لا نركن الى الحلال ولا نجد سبيلا الى الماء الزلال راكبين ظهر مهمه يضل القطا فى ساحته وتكل الرياح النكب دون مساحته :

سريت به أحييه لا حية السرى   تموت ولا ميت الصباح يعاد
يقلب منى العزم انسان مقلتى   له الافق جفن والظلام سهاد

وطفقنا نسير كذلك ليلا ونهارا ، ولا نبيت صياما ولا نجد افطارا ، فكنا اذا أضر بنا الجوع كل الضرر ، ولم نقدر معه على الهجوع ولا على السفر ملنا الى بعض بيوت الشعر ، وقلنا الضيافة على أهل الوبر ، ليست على أهل المدر ، ثم نعطف عليها عطفا ونحن نتساقط ضعفا ، ونقدم باعا ونوخر ألفا ، فلا نجد الا من يقول أفا ، ويهدد حتفا ، ويضاعف الكرب ضعفا ، فنخرج عن البيوت مشردين ومطردين على حالة ترحمها الجبال الشم ، وترثى لها الصخور الصم :

فنعود فى البيد القفار أذلة   خضع الرقاب نواكس الابصار

وما زلنا نقبل فى ذروة وغارب ونطارد كل شارد وغارب :

نترامى كأنها ورق جف   فألوت به الصبا والدبور

الى أن قاربنا أرض الاسكندرية وخفت عنا هموم تلك البرية :

فيا دارها بالغور ان مرامها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

وسرنا نتقلب الى البيوت نمنحتال على شىء من القوت (9) ، وما ظنك بالقوت ، هو كف من الشعير البالى لا نحمله الا عن العوالى ولا نأخذه حتى نقرأ ألف رقية ، ونعقد ألف خيط بألف عقدة ، يطلب منا نفعها ودفعها للصوص والذئاب ، والكهوف والكلاب :

تدعو الضرورة فى الامور الى ركوب ما لا يليق بالادب

فاذا فتح الله تعالى تلك الحفنة منه وضعناها مع النار فى الارض حتى تتقلى ثم نفخناها من الفحم والتراب والرماد وأكلناها :

لونا (10) ينم لنا عليه طيبه ويزيد ألوانا على ألوان
ويلوح من مرآه مرأى حالك وكذلك كان يضىء فى الابدان

وبقيت الحال على ذلك الى أن دنونا من المدينة وحينئذ لمحنا غرة الصخينة ، فألزمنا قمرها من سحابنا (11) سجوفا ، ومحونا اشراقها كسوفا ، وما ظنك بخرقاء وجدت صوفا ، وما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار ولما وقفت من أمر برقة على ما وقفت ، وكابدت منها ما كابدت ، وعرفت ما عرفت أحببت أن أذكر من ذلك فى النظم ، ما يقرب للحفظ ويكون فى العلم ، وهى قصيدة نظمتها شبه الارتجال ، وعلقتها بين يدى الاوجال ، وأولها :

لا قدس الله ربى كل بحري رمى بنا بخداع فى الغماري
فى ارض برقة لا ماء ولا شجر ولا مكان سوى الريح الجنوبى

---

9) ن 2 و 3 على القعود .
10) فى سائر النسخ ، لولا وهو خطا .
11) ن 4 من سحائلنا .

يستوحش الوحش فيها فى مسالكه ويستعيذ لديها كل جنسى
فيها طوائف اعراب ذوى شره مبرئين من الدين الحنيفى
تلقاهم بين أطمار ملفقه من فوقها كل ذي وجه غرابى
من تلق منهم تقل لاقيت أسوءهم (12)
وجها وأسوء بالطبع الغريزي
لا يعرفون لقرص الخبز من صفة
ولا يرون سوى القرص السماوي (13)
ولا يبيت لهم ضيف على شبع الا بما ذاق من غم ومن غى
محاربين ترى الحجاج بينهم موتى يخوضون من حى الى حى
مجردين حفاة هالكين أسى والاكل أول منبوذ ومنسى
تلين فيها الصخور الصم راحمة لمن يراها ولو كان ابن ذمى
والقوم لا راحم فيهم على أحد أرحمة ترتجى فى قلب برقى
كيف التخلص لى من هؤلاء وما تريد من شاعر فيهم ونحوى
أرقى الجمال وأرقى كل ذي وجع ويستريح بنفثى كل جذري (14)
وأكتب الحرز للمحموم ينفعه وأعقد الخيط ما لى فيه من عى
ونشرة الكسب فى حفظى اذا وضعت على الزريبة تنفى كل وحشى
والشقف عندي لرب البيت أكتبه يلقى على باب بيت غير قبلى
وأعرف اليوم أشقاه وأسعده والليل أعرف فيه كل درى

12) ن 4 اسودهم وجها .
13) نسخة 3 السمائى .
14) نسخة 3 كل بزري .

وأعرف الشهر فى خف وفى ثقل والعام هل مطر فيه لصيفى ؟
وأضرب الخط فى رمل وأعرف من أشكاله كل ماءي وتربى
وأحفظ الشعر للعربان أنسبه لاهله من جذامى ولخمى
فهذه كلها فى برقة سبب للعيش ان بات فيها كل غربى
ولا تفتك عصا للكلب تحملها وتتكيها لدى الامر الضروري
وقد دللتك عن علم وتجربة سل العليل ولا تسئل لطبى
لا يعرف الشوق الا من يكابده لا يوجد الكعك الا عند كعكى

ثم سرنا نجتاز على بيوت من الليف ونروي الاحاديث عن الرغيف فما يتفق لنا فى الوجادة الا بالسند الضعيف ، وتسلسل الحال ، واتصل الترحال ، الى أن وصلنا الاسكندرية المحروسة ، وقد فنينا بؤسا ، وعرينا ملبوسا ، وتبدلنا صورا ونفوسا ، وحملنا حشى كفؤاد أم موسى ، حتى كأنا أخرجنا من القبور نخبر عن النفخ فى الصور ، وهول يوم النشور ، فدخلناها عشية يوم السبت الرابع لجمادى الثانية من العام المذكور ، فنزلنا منها بالمدرسة العلمية المتقدمة الذكر منزلا مرتضى أعقب بالرضى ، وانس وانسى ما مضى ، فانبسطت نفسى ورجع الى عقلى وحسى ، وعاد يومى أحسن من أمسى ، وجعلت أنشد أهل ودادي وانسى :

انا من البدو أقبلنا نؤمكم انضاء شوق على انضاء اسفار
لابد للصب أن تبدو صبابته اذا تبدل غير الدار بالدار

ثم سمعت بخبر جفننا المذكور الذي غاب عدة من الشهور ، ورمى بسقه ورجع فارغا الى تحت السور ، انه قد كان قبلنا وصل ودخل

راجعا الى مرسى المدينة وحصل ، فما كذبت ولا صدقت حتى ذهبت وحققت ، فألفيته قد اعترف بالخيبة واعتذر عن بعد الاوبة ، وانتبذ وحده من بين الاجفان كلها ، انتباذ من جنى جناية لم يوت بمثلها ، والناس يعظمون ذنبه جدا ويعدون شهور غيبته عدا ، ويقولون له قد جئت شيئا ادا ، وهو قد أبدى وجله ولبس خجله ، وقال تعست العجلة، فأسرعت لما سمعت مـا سمعت وأنزلت منه جميع ما استودعت وتمثلـــــــت :

كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يكن صعلوكا اذا مـا تمولا .

ثم ضممت رحلى ، وشمرت لدخول المدينة ذيلى ، وخليت بينهم وبينه ، ودخلت ولم تر بعد عينى عينه ، وأخذت فى تمهيد القعـــود والاقامة ، وتجديد العهد بالائمة المشتهرين بامامة ، فأختلفت اليهـم فائتلف الشكل والشكل ، وعرفت منهم ما لم أكن عرفته من قبل ، وللـه المنة على فى ذلك والفضل :

وقــد كان صرف الدهر فرق بيننا فمن حسنات الدهر أن جمع الشمل

وقد انتقيت منهم ها هنا مستأنفا ، زيادة الى ما ذكرته من أهل قطرهم آنفا ، جماعة البسونى شرفا وجمالا ، وأوسعونى برا واجمالا، فالبسهم اللسان احسانا ، وأبرزهم البيان والبنان انسانا فانسانـا (فمنهم) ملك قلم الفتيا ، وسالك القنى العليا ، الشيخ العالم العلامـة نجم الدين أبو الحسن علىبن زين الدين أبى عبد الله محمد بن جمال الدين أبى القاسم هبة الله ابن الانصاري الخزرجى المالكى أبقى الله بركته ، عالم بالاحكام والشروع ، ومفتى الائمة فى الخطب المـروع ، وامام فى الحديث والنحو والفروع ، وانه النجم فى أوجه ، والبحـر متدفقا بموجه ، له عقل راجح ، وعلم واضح ، ونور لائح ، ومع ذلك

رجل صالح للخيرات ايضاحه وخبه ، وبالصالحات غرامه وحبه ومئاثره الاثيرة ، ابين من ابن ذكاء وأظهر من شمس الظهيرة :

وليس يصح فى الاوهام شىء اذا احتاج النهار الى دليل

ولى فى بلده القضاء ، وأحسن فيه السيرة والامضاء ، وأجاد الحالتين السطوة والاغضاء ، ثم نزعه من يده نزعا ، وانتقل عنه تطبعا وطبعا ، واشتغل بالله قلبا وذهنا وبصرا وسمعا ، وأقبل على العبادة والافادة باخلاص ويقين ، فتقبل الله تعالى علمه وعمله ، وانما يتقبل الله فى المتقين ، ردد الاختلاف الى بيت الله الحرام ، وأطال الطواف بين الحجر والحجر والركن والمقام وجاور بالحرمين الشريفين عدة من الاعوام ، فكثرت حجاته وعلت درجاته، وناجت حسناته، وحسنت مناجاته :

يقضى بنشر العلم فى الناس يومه وتجفوه فى جنح الظلام المضاجع

فينفك عنه يومه وهو ذاكر وينفك عنه ليله وهو راكع

انتحل العلوم دهورا وسنين ، ورزق جماعة من البنين وكلهم حملة علم ، وأولو وقار وفضل وحلم ، بلغوا من بره فوق مراده ومقصده ، وعكفوا على تقبيل رجله فضلا على يده ، وعلامة الشيخ الصالح نجابة ولده، عمرت بفوائده المدارس ، واستمرت له فيها محافل ومجالس، فعظم بها الانتفاع ، وعلا فيها السماع ، وتتابع لها الاشياع والاتباع ، سمعت عليه جميع كتاب الملخص لابى الحسن القابسى رحمه الله ، وحدثنى به عن قاضى القضاة زين الدين أبى القاسم محمد بن الشيخ الامام القاضى العلامة علم الدين أبى الحسن محمد بن رشيق المالكى قراءة منه عليه بجميعه ، وحدثه به عن والده علم الدين المذكور سماعا منه

عليه بجميعه بحق سماعه له من أبى الطاهر اسماعيل بن ظافر العقيلى عن الشيخ الجليل أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد التجيبى قراءة عليه ، قال حدثنى الفقيه أبو العباس أحمد بن الخطيب ، قال حدثنا الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن منصور الحضرمى ، قال حدثنا أبو عبد الله بن الوليد بن سعد البكري قراءة عليه ، قال انبأنا الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافري القابسى وجميع ثلاثيات الامام أبى عبد الله البخاري رضى الله عنه ، وحدثنى بها عن الشريف تاج الدين أبى الحسن على بن أبى العباس أحمد بن عبد المحسن الحسينى القرافى قراءة منه لها عليه ، قال سمعتها عن الشيخ الصالح أبى الحسن على بن أبى بكر بن زربة القلانسى قال سمعتها على الشيخ أبى الوقت عبد الاول السجري بسنده المعلوم وجميع كتاب شرف أصحاب الحديث للحافظ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت، الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى وقرأت عليه تفقها نحو الربع الاخير من كتاب موطأ الامام مالك ابن أنس رضى الله عنه وبعض صحيح مسلم رضى الله تعالى عنه ، ونحو النصف من آخر سفر من كتاب أبى عيسى الترمذي رضى الله عنه ، وجزءا كبير من كتاب الشفاء للقاضى أبى الفضل عياض رحمه الله تعالى ونحو الربع من آخر كتاب التهذيب لابن سعيد البرادعى رحم الله تعالى وغير ذلك من كتب العربية والتآليف الزهدية والوعظية ، واجازنى الاجازة التامة وكتب لى بخطه وأسانيده فى هذه الكتب المذكورة مذكورة بخطى فى برنامج روايتى ومولده رضى الله عنه فى آخر جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وستمائة ، ومنهم الموفق للسداد ، المصيب فى الاجتهاد الشيخ العالم القدوة شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام مفتى المسلمين ، فخر الدين أبى محمد بن الحسن بن الشيخ جمال الدين أبى اسحاق ابراهيم القمنى الانصاري الامام الاعظم والجهبذ الذي على عقده ينثر الكلام وينظم ، والفذ الذي به تفتتح المعالى وتختم ، وعنه تتضح المعارف وعنده تخيم سلالة الصدور الاعاظم

والبحور الخضارم ، والسيوف الصوارم والليوث الضراغم وكفاه شرفا . ممدود رواق النساء ، آخذ بئافاق السماء انه عطارد وذلك القطر فلك . وان ليس وراءه فى انتقاد النبل واعتقاد الفضل مسلك ، له البحث الذي لا يناهض . والادراك الذي لا يعارض . والسبق الذي لا يجارى ولا يقارض اقام السؤدد حفافيه . ويهى (15) العلم بين يديه فما شئت من معال تليدة ، ومعان طريفة ، خرست لها شقاشق الفحول ، وانقطعت دونها مصاقع الخطباء لما اخترعت ما خط سواها منه المطروق وابتدعت ما نسى به زمان البديع وأتت بالعبر التى ضاقت عنها العبارة ، وسارت فلم تبلغ أدنى غاياتها الا مثال السيارة ، فالبشر المسفر روض يرف ، والبر الاوفر عارض يكف ، والعلم الاوضح بحر طام ، والحلم الارجح طود سام ، واللسان الرطب ، مهند غضب ، والاحسان لا يغير مورد عذب ، والذكاء المستعر (16) زند وار ، والذكاء المشتهر نور سار ، والكنف الالين مربع مهضوب ، والشرف الابين مفخر فى صفح الدار مكتوب ، الى سجايا كرم ، وايمان ، لم ينفطر عليها أهل هذا الزمان رعاها ضمان الله ، ولا زال نشرها نزهة الاسلام وطيب الافواه ، لقيته بالمدرسة المعدة لتدريسه بالاسكندرية فسمعت عليه بها جميع كتابه الاربعين ، المخصوصة بالتعيين ، لرواية سيد المرسلين عن رب العالمين تصنيف الشيخ الحافظ شرف الدين أبى الحسن على بن الفضل بن على المقدسى . وحدثنى به عن الشيخ كمال الدين أبى العباس أحمد بن شجاع بن ضرغام القرشى الشافعى سماعا عليه بحق سماعه لجميعه على المنصف شرف الدين المقدسى المذكور . وسمعت من لفظه جميع الكتاب المسمى بكتاب الاربعين فى فضل الدعاء والداعين ، تصنيف الحافظ شرف الدين أبى الحسن المقدسى المذكور ، وأخبرنى به سماعا كذلك عن الشيخ كمال الدين أبى العباس بن شجاع بن ضرغام

---

15) ن 1 و 3 وبهى العلم بين يديه .

16) ن 1 الذكاء المستقر .

المذكور بسماعه عن المصنف شرف الدين المذكور وقرأت عليه بلفظى جميع الثمانيات المخرجة للشيخ نجيب الدين عبد المنعم بن عبد اللطيف الحرانى المعروف بابن الصقيل وهى أربعة أجزاء ، وحدثنى بها عن الشيخ نجيب المذكور سماعا لجميعها عليه فى يوم الجمعة خامس المحرم من سنة سبعين وستمائة بمنزل الملك المجاهد بباب القنطرة بمصر المحروسة، وقرأت أيضا عليه حديث الرحمة بسنده فيه وهو أول حديث مسلسل سمعته منه وهو أول حديث سمعته عن الشيخ نجيب الدين المذكور وأجازنى جميع ذلك كله واذن لى فى روايته عنه، وأجازنى جميع ما يحمله ويرويه اجازة تامة مطلقة عامة، وكتب لى بخطه، (ومنهم) المؤثر الديانة المستكثر الصيانة الشيخ العالم المسند شرف الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن الشيخ المحدث المرحوم عز الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن الكهف القرشى الشافعى ، جملة جلال ، فى خميلة خلال ، وموضع الاتساع ، والاصطناع والاحتفال فى الاجمال والازدياد ، من حمده المستجاد والاستكثار من التحسن بحلله والاستظهار ، فانه بقية صالحة وغرة فى دهمة الوقت واضحة ، نابت فى أطيب سرار ، بائت فى مهاد فخار ثابت من المجد فى حجر قرار ، يتحلى بظرف حسين ، ويحمل وفاء عامر بن جوين ويأوي الى ربوة وضية ، ومروءة مرضية الى فنون علوم مقامها فى العالم معلـوم ، ومعارف سابقة له فيها مراتب سابقـة وصالحات يهيىء طرقها وأسبابها ، ومكرمات يسحب اذيالها واثوابها فلقد بدا من وجوه فضله ، وسداد قوله وفعله ، وشمول ابانته وعدله ، ما تضيق عن تقريره الرقاع ، وتترفه بذكره الاسماع ، وغيره ممن يشيد بناء ، ويستفيد ثراء ، ويستزيد جاها وذكاء ، وقد كساه اللـه اكتسابا ووراثة من هذه الوجوه الثلاثة ، ما تنقطع دونه الاعناق ، ويوضحه الاجماع والاصفاق ، ويعرف به جميل مقصده فى الخيـر ومنحاه ، ومكانه من العلم الذي يلتزم كل أحد أن يحله ويرعاه (لقيته) بالاسكندرية فسمعت عليه أجزاء منها جميع الجزء المعروف بسداسيات

الرازي بسماعه للجميع من الشيخ أبى البركات هبة الله بن أبى محمد عبد الله بن أبى البركات بن زوين الازدي فى يوم الخميس رابع المحرم سنة اثنتين وستين وستمائة بسماعه لجمعيه من أبى القاسم عبد الرحمان بن مكى بن حمزة (17) بن موقى السعدي الانصاري بسماعه لجميعه من الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي المذكور ، قال : أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي بمصر قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن بطة العكبري بها أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز البغوي حدثنى يحيى الحمانى حدثنا عطوان بن **مشكان** حدثتنى **جمرة** بنت عبد الله اليربوعية قالت : ذهب بى أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما قد رددت على أبى الابل ، وقال : يا رسول الله أدع الله لابنتى هذه قالت : فاجلسنى فى حجره ووضع يده على رأسى ودعا لى ، وبه الى الرازي ، قال : ومن أغرب ما وقع لى وأقربه اسنادا وهو من الخماسى ما أخبرنا القاضى أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي بمصر قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال : سألت أحمد بن عبيد بن أبى طيبة وكان يزعم أنه سمع من أنس بن مالك والحسن وابن سيرين وحدثنا عنهم فسألته عن اسم أبى طيبة فقال اسمه ميسرة قال عبد الله وقال أحمد بن عبيد صمت لله مائة وتسعة وعشرين رمضانا ، قال عبد الله : وسمعت منه فى سنة خمس وعشرين ومأتين انتهى أول حديث من هذا الجزء المذكور وقد أذن لى فى روايته عنه جميع ما يحمله ويرويه اجازة تامة مطلقة عامة وكتب لى بخطه (ومنهم) الذي بشر بانجاز اجازته الوعد ، وأثار بره سحابا يحدوه الرعد ، الشيخ العالم الكبير عماد الدين أبى الحسين بن أبى بكير بن أبى الحسين الكندي المالكى قد كنت لقيته فى المرة الاولى ، ولم أعمل فى اثباته اليد الطولى ، لاستصعابه ، وقلة

---

17) ن 1 جميزة و ن 2 حمزة .

استصحابه ، وانقباضه عن حملة العلم وطلابه ، ثم رأيت أن اهمال ذكره اخمال لقدره (18) واخلال به بين أهل قطره فشفعت فيه عمله ، وأعلقت هذا الديوان اسمه ، فقد علم الله أنى لا أمين ولا أميل ، واغتفر الكثير القبيح اذا تبعه النزر الجميل . وهذا الرجل وان الزمه الطبع صلفا ، وناء بجانبه أنفا فقد رفعه العلم وعضده الحلم ، وكان له الحكم ، فلم يعرف منه الظلم ، ولى رتبة القضاء العلى ، ببلد الثغر الاسكندرانى ، فجرى على النهج السوي ، والسنن الرضى ، فجر ذيول العز طلقا ، وجرع الحلو والمر جزعا ومذقا وحظى غرقا ، وأسعد فرقا ، وأنحس فرقا ، ثم عزل فلحقه الخمول ، وعثر به الجد ففاته المامول وبقى مطرحا ، واقطع الاهمال مسرحا :

ولو لم يعل الا ذو محل ... تعالى الجو وانحط القتام

وما زال يدرس فى أحسن المدارس ، فيغص مجلسه بالواقف والجالس ، ويحضر بين يديه خيار الفضلاء ، وكبار العلماء ، كلهم معتمدون عليه مستندون اليه ، مستفيدون بين يديه :

وكل خاشع الصوت ... لديه خاضع النطق

وانه لاجل امام وأكبر نحرير ، ولاسيما فى حديث وعربية وتفسير ، وأقول فيه قول من يختصر فى ذكره ، ويصدق سن فكره ، هو مالك أزمة علوم اللسان ، وامام تفسير الحديث والقرآن ، والمعول عليه فى مذهب مالك بالاجماع والمشار اليه مهما ذكر علم العربية فى سائر البقاع ، سمعت عليه كثيرا أول الامر عند ورودي لذلك الثغر ، فلما

18) فى الاصل اخمال القدرة .

فغلت فى العودة ظننته بعض العدة وقلت : العماد مشتق من العمـدة ، فاستأذنت عليه بأبيات ارتجلتها ، وأقمت بباب منزله وأرسلتها وهى :

وارد جـاء لاثـم لـك تربـا أصدق الناس فـى جلالـك حبا
طبق الارض مـن ثنائـك شرقا وسيملـى مسامـع الارض غربا
طلب الاذن ان يراكـم بديهـا ثـم ان شئـت زاد أوزار غبـا
أتراكـم اسعفتمـوه لقـاء أم تراه عن بابكـم بان صبـا

فأعرض عن وجهها الحسن ، ونكب عن قصدها تنكيب الجفـن المهجور عن الوسن ، فعجبت من الجفا ، وتعذر الوفا ، ثم أعاد نظـره فعاد الى بذل الفضل والخلوص والصفا ، فرسم لى خطه بالاجازة ، ووسمنى بسمة السماع واجازة الاجازة ، ومما سمعت عليه جميع الجزء المنتقى من كتاب فضل الخيل وما يستحب وما يكره من ألوانها وشياتها ، وما جاء فى كراهية أكل لحومها واباحتها وما ورد فى سباقها وسهامها وصدقاتها ، تأليف الحافظ شرف الدين أبى محمد عبد المومن ابن خلف بن أبى الحسن الدمياطى انتقاء الفقيه الفاضل الحافظ تقى الدين أبى المعالى محمد بـن جمال الدين رافع بن محمد السلاحـى بسماعه هو لجميع كتاب فضل الخيل المنتقى فيه هذا الجزء على مؤلفه شرف الدين الدمياطى المذكور فى شعبان سنة خمس وتسعين وستمائة بالمدرسة الظاهرية من القاهرة المعزية ومن أشياخـه المجيزيـن لـه بالفتيا والتدريس على مذهب مالك رضى الله عنه قاضى القضاة ناصر الدين بن الانباري وغيره ، وأخذ علم العربية عن الشيخين الامامـين الدينيين أبى عبد الله محمد بن عبد الله النحوي الشهير بحافى رأسـه ، وبهاء الدين أبى عبد الله محمد بن النحاس الحلبى ، وأجازه كل واحد منهما باقراء فـن العربية وسمع الحديث من جماعة منهم الحافـظ شرف الدين الدمياطى المذكور وقاضى القضاة تقى الدين أبو الفتح محمد

ابن مجد الدين أبى الحسن الشهير بابن دقيق العيد وغيرهما ، اجازه كل واحد منهم اجازة تامة مطلقة عامة ، وسمع على الشيخ عبد النصير المريوطى بعض مقامات الحريري وحدثه بها عن أبى عماد عن ابن النفور (19) عن الحريري وقد سمعت بعضها عليه، وبعض كتاب مسلم ابن الحجاج وبعض كتاب التهذيب للبرادعى وبعض كتاب الجزولية فى النحو وبعض كتاب الفصيح لابى العباس ثعلب كل ذلك تفقها مع غير ذلك من الكتب واجازنى جميع ما يحمله ويرويه اجازة تامة وكتب لى بخطه ومولده فى شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ، (ومنهم) العلم الذي بأنواره الاهتداء والعالم الذي بآثاره الاقتداء ، الشيخ المحدث الحافظ معين الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين أبى العباس أحمد بن فتوح ابن أبى الذكر المصغونى الشافعى رضى الله عنه هذا رجل جليل ، له فضل جزيل ، وفعل جميل ، وعقل نبيل ، وطول حفيل ، وعلم فضيل ، وحسب أصيل ، ومحاسن لم يحوها من العباد الا قليل ، فان ذكر كرم المنصب وشرف المحتد كانت شجرته المصغونية فى قرارة المجد والعلاء ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وان وصف حسن الخلق والخلق فله طلعة تطلع كالشمس على وجه الارض وأخلاق خلقن من الكرم المحض ، وشيم تشام منها بارقة المجد وتنم عليها خمائل الروض ، وان مدح التواضع وبعد الهمة ضربنا به المثل ، وتمثلنا همة على هامة زحل ، وأما سائر آلات الفضل وأدوات الخير ، وخصال المجد وفنون العلم ؟ فقد قسم الله تعالى له منها ما يباري الشمس ظهورا ويجاري القطر وفورا ولله هو اذا خاض فى عجائب علم التحديث ، وسلك طرقها بالباع المديد ، والسير الحثيث وأخذ فى التعديل والتجريح ، وجذب أهداب الاداب والنحو والتاريخ فهناك تزخر بحار العلوم ، وتذخر جواهر المنثور والمنظوم ، ويجتمع الحسن برمته والاحسان بكليته ، وتضيق المجالس عن الجلوس ،

---

19) ن 2 عن ابى النعور .

وتتسع اقدام الاقلام فى سطور الطروس ، صيغ من أشرف الجواهر وردي رداء المحامد وبويء بحبوبة الكمالات فلا غرو ان بدا التاخر للمتقدم وغدا العالم فى صورة المتعلم :

(وليس لله بمستنكر (20) ان يجمع العالم فى واحد)

ارتحل فى طلب العلم شابا ما أحكمت يده عقد الازار ، ولا سما فأدرك خمسة الاشبار ، ثم آب وقد حمد ايابه ، وأجزل ثوابه ، ونفع به فى طلبته وصحابه ، فهو اليوم رحلة الزمان وخليفة ابن النعمان والامام الذي علقت به الامانى فأصبحت فى الامان ، مجالسه زينها الصدق وحسنها الحق ، وأحبها الخالق والخلق ؛ فنورها يعلو على النسرين ، ويرغب فى خير الدارين ، وان مشائخه لتزيد على الالفين ، حقا أقول انه لآية الله فى الارض ، وما فهت من محاسنه الا ببعض البعض ، فالغلو فيه قليل ؛ والخلو منه ساعة خمول ، فما انتجاع الخمائل فى (21) أبرديه ، ولا اجتماع الفضائل الا من برديه (22) ولا العلياء الا فى مخبره ومنظره ، ولا الدنيا الا بين مبدأه ومحتضره ، ولا العز الا التعلق بأذياله ، ولا الامن الا التفىء بظلاله ، وردت ذلك الثغر لارشف ريقه ، وأكشف فريقه ، وقد رافقنى البين ، وفارقنى الغبن ، وأصابتنى العين ، فتلقانى رضى الله عنه بمحيا حيى ، وصافحنى براحة أريحى ، وعاملنى ببرصفى ، وبشر حفى :

فبشرت آمالى بشخص هو الورى ودار هى الدنيا ، ويوم هو الدهر

ومكثت زمانا تحت افضاله ، وواسع نواله ، فلما دخل شهر رمضان ضاعف فى المعونة وخفف على المئونة ، وأغاض على وعلى من

---

20) المشهور فى رواية البيت ، وليس على الله .
21) المبردان : الغداة والعشى .
22) ن 2 الاضمن برديه .

لدي عوارفه ومعارفه فيضا ، وأوجب ذلك على نفسه الكريمة سنة وفرضا ، حتى رحلت مسافرا من عنده ، وحينئذ بنت برغم مكارمه عن رفده ، وقد تحصل لى عليه ما بين قراءة وسماع ما ينيف على المائة تأليف جلها بل كلها منقولة بخط يدي من أصوله لعتيقة مصححة عليه على ما تقتضيه امامته فى تلك الطريقة ، واجازنى غير ما مرة وكتب لى فى غير ما موضع بخطه ، ومن جملة ما سمعته عليه جميع القصيدة اللامية الشاطبية المسماة بحرز الامانى وحدثنى بها عن الشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الكندي سماعا من لفظه بسماعه من الشيخ أبى الحسن على بن شجاع بن سالم العباسى الهاشمى حدثه بها عن ناظمها أبى القاسم الشاطبى سماعا وقراءة ، ومما سمعت عليه بلفظه جميع الاربعين حديثا تخريج قاضى القضاة تقى الدين أبو الفتح محمد المشتهر بابن دقيق العيد . باجازته منه ان لم يكن سماعا وجميع الاربعين البلدانية السلفية وحديث الرحمة المسلسل بشرطه ، وجميع مسند حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، وجميع العمدة فى الحديث تأليف أبى محمد عبد الغنى بن سرور المقدسى رحمه الله وجميع الاربعين حديثا على مذهب المحققين من المتصوفة جمع الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق رحمه الله ثم قرأت جميعها عليه بلفظى مرة ثانية قراءة تصحيح وكذلك قرأت عليه بلفظى مرتين جميع الاربعين السباعيات المخرجة من سماع الشيخ رضى الدين أبى المعالى عبد المنعم ابن عبد الله الفراوي النيسابوري وقرأت عليه بلفظى مرتين ثنتين كذلك جميع ثلاثيات الامام أبى عبد الله البخاري رضى الله عنه وقرأها هو وسمعها على جماعة منهم الشريف تاج الدين أبو الحسين على بن أحمد الحسينى القرافى قرأها عليه بلفظه وقد تقدم سنده فيها آنفا وقرأت وسمعت عليه غير ذلك مما قد استوفيته فى برنامج روايتى ، وأخرنى أبى عبيد الله

المهدي كان أديبا شاعرا وجال فى البلاد بعد قتل أبيه ودارت عليه صروف الدهر ، واضطر الى الاستجداء بالشعر حتى مدح الوزير ابن عطاف وكيل أبيه بقصيدة منها :

أقول لا مالى ستبلغ أن بدا محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعونى كل يوم تعلل فقلت لها ان لاح يفنى التعلل

فتغافل عنه فكتب اليه :

أيها المكن من قدرته لا يراك الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا كنت فانظر فعله فى ملكنا
مد كفا نحو كف طالما أمطرت منها السحاب الهتنا
أوارحنى بجواب مؤيس فمطال النفس من شر العنا

فقال صاعقة لم يرسلها الله الا على ، ثم قال لوكيله ادفع اليه خمسة عشر درهما . فقال : يا سيدي ما لهذا القدر رونق ، أما عشرة او عشرين ، فقال : ادفع اليه عشرة فقال له الوكيل ما قلت لك هذا الا لتطلع همتك ولا يكون كلامى شرفا على الرجل فقال : يا هذا دع الفضول غانما أنت وكيل لا مشير فقال فارجع الى الحال الاول فحرد وحلف الا يعطيه شيئا فتحيل الوكيل فى خمسين درهما ، ودفعها الى عبيد الله فسمع ذلك ابن عطاف فقال له : من أنت فى الكلاب حتى تعطى خمسين كأنك معن بن زائدة أو جعفر البرمكى مثلك لا يستخدم فصرفه فقدر الله موت الوزير فتزوج الوكيل زوجته وسكن داره فقال فى ذلك عبيد الله شعرا أوله :

أيـــا دار قولى أين ساكنــك الذي أبى يومه ان يترك الشكر خالـــدا

واضحى وكيل كان يأنف فعلـــه نزيلك فى الحوض الممنـــع واردا

فقلت : أين هذا من مالك بن طوق رحمة الله عليه فانه كـــان جالسا فى بهو مطل على رحبة ومعه جلساؤه اذ أقبل أعرابى نخب (23) به ناقته فقال : اياي أراد ونحوي قصد ، لعل معه أدبا ينتفع به ثـــم أمر حاجبه بادخاله فلما مثل بين يديه قال ما أقدمك يـــا أعرابـــى قال : الامل فى سيب الامير والرجاء فى نائله ، قال : فهل قدمت أمام غرضك وسيلة ، قال : نعم أربعة أبيات قلتها نظما ، قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك ولك أربعة آلاف درهم ، فان كانت أبياتك أحسن فقـــد ربحنا عليك والا فقد نلت مرادك وربحت علينا ، قال : قد رضيت :

وما زلت أخشى الدهر حتى تعلقت يداي بمن لا يتقى الدهر صاحبه

فلما رءانى الدهر تحت جناحـــه رأى مرتقا صعبا منيعـــا مطالبـــه

رءانى بحيث النجم فى رأس باذخ يظـــل الوري أكنافه وجوانبـــــه

فتى كسماء الغيث والناس حوله اذا أجدبوا جادت عليهم سحائبه

قال ظفرنا بك يـــا أعرابى ، والله ما قيمتها الا عشـــرة آلاف درهم قال : فان لى صاحبا شاركته فيها ما أراه يرضى ببيعتى ، قال : أترى حدثت نفسك بالنكث ، قال : نعم ، وجدت النكث فى البيع أسهل من خيانة الشريك فأمر له بها وأخبرنى ، قال : دخل المظفر الاعمى على الملك الكامل فقال له الملك : أجز نصف هذا البيت :

---

23) ن 2 و 3 تحـــث بـــه ناقتـــه .

وأنشـد بديهـــــا : قـد بلـغ الشـوق منتهـاه
فقــال المظفــر : وما درى العاذلون مـا هـو ؟
فقــال الملــك : وانمـا غـرهـم دخـولـى
فقــال المظفــر : فيـه فهامـوا به وتـاهـوا
فقــال الملــك : ولـى حبيـب رأى هـوانـى
فقــال المظفــر : ومـا تغيـرت عـن هـواه
فقــال الملــك : رياضـة النفـس فى احتمالـى
فقــال المظفــر : وروضـة الحسـن فـى حـلاه
فقــال الملــك : اسمـر لدن القـوام ألمـى
فقــال المظفــر : يعشقـه كـل مـن يـراه
فقــال الملــك : ريقتـه كلهـا مـدام
فقــال المظفــر : ختامهـا المسـك مـن لمـاه
فقــال الملــك : ليلتـه كلهـا رقـاد
فقــال المظفــر : وليلتـى كلهـا انتبـاه
فقــال الملــك : ومـا عسـى ان يهيـن عبـدا
فقــال المظفــر : بالملـك الكامـل احتمـاه

وكانت بيد الملك رقعة يكتب فيها كل ما نظمناه فرمى بها تجنبا أن يكتب مدحه بيده ، ثم زاد المظفر بعد ذلك وأخبرنى قال : أخبرنى أبو عبد الله محمد بن حماد القطان التونسى قدم علينا حاجا قال : حدثنى الشيخ أبو محمد المغريانى ، قال : لما جئت برسم الحج الى الديار المصرية تعرفت بشيخ من المتصوفة ، فقال لى : اريد ان

أجمع بينك وبين الامير ابن يغمور فاجبته : الى ذلك فجئنا اليه وهو فى بستان فاستأذنا فأذن الينا ، وأمرنا بالجلوس ، فجلسنا وبين يديه مملوك صغير حسن الصورة ، ومماليك أخرى بين يديه . . . وبين يديه محبرة ، فقال له الشيخ عنى ، هذا الرجل أديب فاضل يقول الشعر فسر بذلك وأخذ غرارة (24) وكتب فيها من نظمه :

لاح بدرا وتثنى غصنا فحكى الشمس سناء وسنا

ثم نادى الحسن هل من عاشق . . . ثم قال لى : أجز هذا البيت فارتج على زمانا ، اذ دخل نوتى من المركب فقال لبيك ، فالهمنى كلامه فقلت : (فأجاب القلب لبيك أنا . .) فاستحسن ذلك ووصلنى ، وأخبرنى قال صنع بعض الفضلاء ببغداد طعاما ودعا اليه الناس فأجابوا دعوته وكان فى جملتهم أبو العباس المبرد فلما فرغوا من أكلهم دعا رب المنزل جارية له خلف ستر ، وقال لها : اسمعينا شيئا فقالت (25) :

وقالوا لها هذا حبيبك معرض فقالت ألا اعراضه أيسر الخطب
فما هو الا نظرة بتبسم فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فقام كل من كان فى المجلس وطابوا بأجمعهم وداروا الا أبا العباس فلم يقم ولم يتحرك . فقال له رب المنزل : لما لم تقم ، فقالت الجارية : دعه يا سيدي انما لم يقم لانه ظن أنى لحنت فى قولى ، هذا حبيبك معرض ، ولم يعلم ان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قرأ وهذا بعلى شيخا فقام فطرب حينئذ أبو العباس وطاب ،

---

24) غرارة : الجوالق والعدل من صوف او شعر وفى ن 2 و 3 غزازة وهو خطا .
25) ن 2 و 3 فغنت .

وقام ودار حتى شق ثوبه (وأخبرنى) قال حضر ابن حجاج البغدادي وليمة فتأخر الطعام فكتب لصاحبها :

يـا ذاهبـا فى داره جائيـــا   لغيــر معنــى وبلا فــائدة
قــد جــن أصحابك مــن جوعهــم   فاقــرأ عليهــم سورة المائــدة

وجميع ما أنشدنى من القصائد والمقطوعات يحتمل سفريــن كبيرين ، وقد تقيد لى جميع ذلك فى غير هذا بخطى وبخطه رضى الله عنه فما لخصت منه هنا ما أنشدنيه لمهلل الدمياطى :

يــا بانة الرمل هل مرت بك الابل   وساحة الشيح هل حطت بك الكلل
ويا عريب النقى هل للقــا أمــد   ويقتضى بحمــاكم ذلك الامــل
رحلتم بفؤادي يــوم رحلتكــم   وبين جنبــى قد حلت لكم حلل
وحقكم ويمين الحب صادقـــة   قلبى بغير هواكــم ليس يشتغل
يــا سائق البدن بالبطحــاء فقف نفســا (26)
لعــل عينــى بحســن القــوم تكتحــل
بــدر تمــام (27) مــن الاكــوان مطلعهــا
فى القلــب والطرف قــد حلــوا وقــد نزلــوا

يا للرجال عسى خل يعين فتـــى   حلف الغرام رمته الاعين النجـل
قد دار بالوجد حتى شاب مفرقه   ومارس الحب حتى جاءه الاجـل

---

26) ن 1 نعســـا

27) ن 2 بــدور تـــم .

وأنشدنى لتـاج الدين السرخـدي (28) :

تأنوا ففى طى النسيـم رسائـل ... وميلوا فان البان بالسفـح مائل
وما مال الا للسؤال وعنـده ... حديث هوى فاستحدثوه وسائلوا
روى خبرا عن بان نعمان مرسلا ... وأسند عنه ما حكته الشمائـل
خذوا عن يمين البان قد بلغ الهوى ... أواخر لم يدرك لهن أوائـل
وقصوا غرامى للنسيـم فانـه ... غريمى اذا ما هيجتنى البلابـل
وميلوا الـى رمل الحماءل سربه ... تلاحظكـم غزلانـه وتغـازل
وان سؤالى للنسيـم علالـة ... كما أن دمعى للمنازل سائـل

وأنشدنى لعلى بن مسعود الحلبى المعروف بالذهبى وهو من شعراء الملـك الناصـر :

الى كم ترانى ياخليا من الوجـد ... وتعرض عن بثى وتخلف لى وعدي
وكم فيك جرعت الهوان بمنـزل ... علمت به ان المنازل لا تجدى
أعيد وأبدي ما أحس من الهوى ... على رسم دار ما يعيد وما يبدي
وبـرق تراءى من تهامة موهنـا ... فأوهمنـى قرب المزار على بعد
سرى خافقا من أيمن الغـور مهديـا ... الى الماء والجمـر المضـرم فى نجـد
وأضحى على وادي الاراك مخيما ... يلوح ويخفى مثل حاشية البـرد
لك الله يا برق الغضا ، ان للغضا ... بقلبى ما للنار من مهجة الزنـد

---

28) أو الصرخدي . (وفى بعض النسخ محمود بن عابد) .

وأنشدنى لكافور بن عبد الله الخصى خادم روضة النبى صلى الله عليه وسلم وهى قصيدة طويلـة :

أولهـا : وحق الهوى مـا هبت الريح مـن نجد
علـى كبـدي الا تلـوت مـن الوجـد

وان لاح برق من ثنيـة لعلـع ... ذكرت به برق الثنية من هنـد
هلاليـة تحكى الهلال بوجههـا ... اذا لاح فى ليل من الفاحم الجعد
على أننى ما زلت منذ علقتهـا ... على حالة مذمومة العهد من عهد
فاما على شوق يتاح الى الثـوى ... واما على وصل ينغص بالصد
أوردية الخدين من ترف الصبـا ... ويا بنت ذي الاقدام بالفرس الورد
صلى واغنمى شكرا فلا وردة الربا ... تدوم لجانيها ولا وردة الخـد
خليلى ان الصدر ضاق عن الجوى ... فلا تعذلانى واتركا النار فى الزند

وأنشدنى للشريف بن الجلاوي الموصلـى :

حكاه من الغصن الرطيب وريقـه ... وما الخمر الا وجنتاه وريقـه
هـلال ولكن أفق قلبى محلـه ... غزال ولكن سفح عينى عقيقـه
على خده جمر من الحسن مضرم ... يشب ولكن فى الفؤاد حريقـه
على مثله يستحسن الصب هتكـه ... وفى حبه يجفو الصديق صديقـه
أحـن اليـه كـل حـين صبـابة ... وقـد سد من بعد المزار طريقه
واشتاق اكناف الحماحين حلـه ... ومن ذا الذي ذكر الحما لا يشوقه

وأنشدنى لابى مختيار الأبلة البغدادي المشهور برقة القول فى الغراميات :

بأي لسان للوشاة آلام وقد علموا أنى سهرت وناموا
أهيم (29) وما أظهرت فى الحب بدعة
ولو أنهم ذاقوا الغرام لهاموا
هل العشق الا لوعة فى جوانحى تنم عليها أنة وغرام
ألام على حبى وهو مبرح وأكبر حب فى هواك ملام
ايستكثرون الوصل لى منك ساعة وقد مرعام للصدود وعام

وأنشدنى قال أنشد أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري لمحمد بن أبى أمية :

مل الوصال فعاد بالهجر وتكلمت عيناه بالغدر
وظللت محزونا أفكر فى اعراضه عنى وفى صبري
ما نلت منه فى مودته يوما أسربه مع الدهر
فى كل موضع لذة حزن يغتاله من حيث لا ندري

وأنشدنى قال أنشد أبو محمد بن القاسم الانباري لخالد الكاتب :

قد القضيب حكى رشاقة قده والورد يحسد وردة فى خده
والشمس جوهر نورها من نوره والبدر أسعد سعده من سعده

---

29) ن 2 الام .

خشف أرق من الحياء بهاؤه ومن الفرند المحض فى أفرنده

لو مكنت عيناك من وجناته لرأيت وجهك فى صفيحة خده

(ومنهم) الاثير النايل ، الكثير الفضائل ، الشيخ الامام ، القدوة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن هبة الله بن أحمد المقدسى الانصاري الشافعى نفع الله تعالى به ، ذو الرياسة العلية والسياسة العلمية ، والمراتب السنية والمناقب السرية والهمم البعيدة الزكية ، والشيم الرضية المرضية وأفضل الفضلاء بقطر الاسكندرية من رجل انتهى اليه العلم ووقف عليه العقل واختصه الكرم ، وبعد له الصيت ووسمه الصدق وعظمه العالم وخلقته العبادة ، وأدبه التواضع ، وارتضاه التصوف ووسعته السنة وأحبته الامة ، وجرت على يديه النعمة ، بسيط الكف رحب الصدر موطأ الاكناف سهل الخلق ، كريم الطباع غيث مغيث وبحر زخور ، ضحوك السن بشير الوجه ، بادي القبول ، يستقبلك بطلاقة ويخبرك ببشر ، ويستدبرك بكرم غيب (30) وجميل ، نشر ، ريان من العقل ، خميص من الجهل ، وراجح العلم ، ثاقب الرأي ، طيب الخلق محض (كذا) الظرفية ، كاس من كل مكرمة ، عار من كل ملامة ، ان سئل بذل ، وان قال فعل ، فلم يحو فضله العصر ، ولم يبد مثله ذلك الصفع ، وذلك القطر ، ولما درت له درر اخلاق التوفيق فشرب ريه ، وهبت له نسمات الارشاد ، فتنسمها ذكية عنبرية ، والتاحت له شمس المعارف ، فالتمحها بيضاء نقية ، ودعته المعالى لنفسها فأسرع اجابة دعوتها المعنوية اذ لا نطقية ، اصطفته الخطة الشرعية ، وارتضته الامرة القاضوية ، فهو رئيس كتابها ومنشىء شروطها وآدابها ، ومفتى مشكلها واعرابها ، والعارف بنقضها وابرامها ، والعاكف على تنقير نوازلها ، وتنفيذ أحكامها ومع سمو قدره ونفود نهيه وأمره ، فالناس منصفون فى سبقه ، ومعترفون ببخس حقه ، عارفون بما يجب لعلمه

---

30) ن 3 بكرم عيب .

وفضله وحذقه ، لقيته بمنزله من الاسكندرية لآخذ عنه واستفيد منه فأرانى من فضله ما أتى بخرق العوائد واتحفنى بأعظم التحف وأكبر الفوائد :

لقد كان لى روضة عذبة مواردها فى فم الصادر
أقلب طرفى بارجائها فيرتع فى مونق زاهر

وقد تحصل لى بخط يده البارع جملة تفتخر المهارق بها افتخارا وتطلع فى أفق الطروس ليلا ونهارا فانه :

تبث يمناه زهرا فى الطروس ولا نكر على السحب ان ينبتن أزهارا
خط هو السحر لكنا ننزهه ونجعل القلم النفاث سحارا

ومما قرأته عليه بلفظى كتاب عيون الحقائق تأليف شيخه العالم الكبير الشهير الولى لله تعالى أبى سليمان داود الشاذلى نفع الله ببركته وهو ديوان عجيب من أحسن ما جمع فى علم التصوف ومن أصل شيخى الذي بخطه البارع نقلت أصلى منه ومعه قابلته وعليه صححته ، حدثنى به عنه قراءة عليه ومما أسمعنى من لفظه جميع الجزء الذي ألفه فى الطريقة الصوفية فأبدع فيه تأليفا وانشاء وأطلع منه كواكب العجائب تشرق صباحا وتروق عشاء ، وجميع الاحاديث الاربعينية البلدانية السلفية بحق قراءته لجميعها على الشيخ المحدث محيى الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن مخلوف بن عبد الرحمن بن جماعة بسماعه لها على الشيخ أبى الفضل جعفر بن على بن هبة الله الهمدانى نقلا بسماعه لها من مخرجها الحافظ أبى الطاهر أحمد بن محمد السلفى رحمه الله وقد سمعت عليه أجزاء كثيرة وأحاديث مسلسلة عديدة منها حديث الرحمة المسلسل بشرطه وأجازنى وكتب لى بخطه وأخبرنى وقال :

أخبرنى الفقيه العالم أبو بكر الاذغري قال : أخبرنى الفقيه حرب من أهل دمشق قال ، قال شخص من الفقراء لاخوانه أحب اليوم أن نجتمع وأغنى لكم قال فاجتمعوا فغنى لهـم :

سلى نجوم الدجى يا طلعة القمـر   عن مدمعى كيف يدمى فيك بالسهر
ايـه بعيشك ماذا أنـت صانعـة   من الجميل فهذا آخر العمـر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى ، وأخبرنى أبو بكر المذكور عن القاضى شمس الدين بن القماح قال : سمعت الشيخ تقى الدين بـن دقيق العيد يذكر فى مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا وكان هناك فقير فغنى مغن أبيات ابن الخياط :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبـه   فقـد كاد رياها يطير بلبـه
وأيا كمـا ذاك النسيم فانـه   متى هب كان الموت أيسر خطبـه
أغار اذا آنست فى الحـى أنـة   حذارا وخوفا أن تكـون لحبـه
وفى الركـب مطـوي الضلـوع علـى جـوى
متـى يدعـه داعـى الغـرام يلبـه

قال فقال الفقير لبيك ورفع رأسه فاذا هو ميـت .

(ومنهم) مفتى الاسلام ، فخر الانام ، الشيخ الامام فخر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى الفضل بن عاصم الذي له الكرامات الظاهرة ، والايات الزاهرة ، والمجاهدة الوافرة ، والبيت الذي بالصلاح مشهـور ، وبالرياسة فى التقدم على الصوفية مذكور ، فهو شيـخ الطريقة ، ومعدن الحقيقة نشأ مذ كان على الطرائق العلمية الملية وتربى فى حجر الحماية بعين الولاية لما سبق له من الرعاية بالعناية الانعامية ،

وحباه سبحانه بأن الهم همه العلية للاهتمام بالعزلة والفراغ عن الشواغل الدنيوية ، ومنحه بصدق المجاهدة ومراتب المراقبة ، ومشاهد المشاهدة ما منحه من مواهبه العرفانية ، وخصائصه الاحسانية ، فلم يزل يتقلب فى أطوار العبادة ، ويصحب أهل الفضائل ويلازمهم للافادة والاستفادة ، مترقيا الى أفلاكهم ، وفائتا شأو ادراكهم ، فحفظ أنواع العلوم الربانية ولحظ أسرار الخطرات الواردة الالهامية ، فظهر عند فنائه فى فناء معارجها وبهر حين هب عليه نسيم القرب ، فتموجت معارف بحارها وبحار معارفها ، وأقام يقيم رسوم العلوم الدراسية ، بيد أعمال الطاعية ، فلاحت فى معادن اسراره ، ومشارق أنواره ، ما شئت من شواهده البرهانية ودلائله الايمانية ، الى ما حوى من بدائع المواعظ الزهديات وروائع الحكم الادبيات التى تبرقعت بنور الصباح ، وحسن الاوجه الصباح وتخلقت بنشوة الراح ، وارتياح الارواح ، فتجلت لها أنوار جلت ظلمات الافكار الجسمانية ، وتبدت لها أسرار محت بقايا الاطوار الروحانية :

(فما سريان الراح فى روح وامق بأنفس منها فى نفوس وعاتها)
(سقانا بها حتى سكرنا مدامة فكيف لنا بالصحو من نشواتها)

فها هو واحد زمانه ، وفريد أوانه ، وواسطة نظام العقد الدي تجلى بلؤلؤه ومرجانه ، وشاع وذاع فملأ القلوب والابصار والاسماع ، بما راق وراع ، من فوائده البيانية ، وفرائده التبيانية وعوائده الدنيوية والأخروية ، قد صفا من الكدر ، وانقطع الى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر ، وفاق رجال الامصار والآفاق من البلاد الاسكندرية والمصرية والشامية ، لقيته بمدينة الاسكندرية فقرأت وسمعت عليه كثيرا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تآليف عديدة منها جميع الجزء المسمى بالمجالس الثلاثة من أمالى الحافظ أبى الحسن على بن

الفضل بن على المقدسى رضى الله عنه بسماعه لجميع الجزء فى سنة أربع وثمانين وستمائة على الشيخ شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الخالق القرشى بسماعه لجميعه من مخرجه المقدسى ، وقرأت وسمعت عليه غير ذلك من الكتب والاجزاء والاحاديث المسلسلة وغيرها مما قد استوفيته فى برنامج روايتى ، واجازنى الاجازة التامة المطلقة العامة ، وكتب لى بخطه وأخذت عنه فى التصوف تآليف عديده نقلت منها هنا ما نصه :

أما الصوفى فهو العالم بما لابد فى أعمال الطاعة منه ، المقبل على الله بوجهه كله المتجرد عن نفسه القائم فى كل شىء بارادة ربه ، سمعت شيخنا الامام قطب الوقت شهاب الدين أبا عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد السهروردي رضى الله عنه يقول : من عمل ولم يعلم كان كمن يبذر فى السباخ ، ومن علم ولم يعمل كان علمه ضائعا ، وأما الفقير فهو المقبل على الله تعالى بوجهه المتمكن من تربية ظاهرة وباطنة بصريح العلم الذي لا تفاوت فى معاملته بين خلوته وجلوته ، المتطلع بترك المال والجاه الى ما تحقق عند الله من العوض فى المئال ، قال فارس رضى الله عنه : قلت لبعض الفقراء رضى الله عنه ورأيت عليه أثر الجوع الا تسئل قال : أخاف أن أرد فلا يفلح الراد ، وقال محمد بن ياسين : سألت ابن الجلاب رضى الله عنهما عن الفقر فذهب ثم رجع فقال : كانت عندي أربعة دوانق فاستحييت من الله أن أتكلم فى الفقر وهى عندي فذهبت حتى أخرجتها ، ثم تكلم ، وهذا يظهر الغنى فى الفقر ، وقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه اظهار الغنى فى الفقر أحب الينا من الفقر ، وأن يكون العطاء أحب الينا من الاخذ .

والارادة هى القصد الى طريق السالكين الى الله تعالى وهو أول منازلهم والمريد هو القاصد الى تلك الطريق ، وأعلم أن الخرقة خرقتان خرقة تبرك وخرقة ارادة ، ولخرقة التبرك حقوق ، منها لا يمنع طالبها

ولا يرد مع صحة القصد خاطبها وأن يلقاها بالقبول ، ويرجو ببركتها الوصول الى أهلية خرقة الارادة ، وأن يجالس هذه الطائفة متشبها بهم متزييا بزيهم متأدبا بآدابهم ناظرا الى سيرهم وأحوالهم ، متعرفا بذلك عوارف بركاتهم ، ولها شروط منها ما هو شرط فى صحة لباسها ومنها ما هو شرط فى دوام حكمها ، أما الشرط الاول ، فهو الايمان بطريق القوم ، قال شيخنا رضى الله عنه الايمان بطريق الصوفية أصل كبير ، وذكر قول الجنيد الايمان بطريقنا هذه ولاية فقال وجه ذلك هو أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستعذبة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم ، واشارتهم الى عظيم أمر الله والقرب منه ، و (الايمان بذلك ايمان بالقدرة ، ولهم علوم من هذا القبيل ، ومن أهل الملة من أنكر الكرامات فلن يومن بطريقهم الا من خصه الله بمزيد عنايته ، الشرط الثانى سلوك الطريق التى لا تتوجه على سالكها من حاكمى العقل والنقل لوم فان عصوك فقل انى بريء مما تعلمون فماذا تحرك لابسها بحركة تنافى طريق القوم متعمدا لذلك مصرا عليه غير مجيب الى الرجوع عنه تنزع خرقة المشايخ عنه ، ويصان حريم احترامها عنه ، فانها محترمة شريفة مكرمة ، لانها شعائر المقربين ، وحلية الابرار المتقين ، قال ابراهيم بن شيبان رضى الله عنه كنالا نصاحب من يقول نعلى ، وقال أبو أحمد بن القلانسى رضى الله عنه دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرمونى فقلت يوما لبعضهم أين ازاري فسقطت من أعينهم ، ودخل الرود باري رضى الله عنه يوما دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق ، فكسر وأنفذ جميع ما وجده فيه الى السوق ، فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ، ودخلت امرأته ورمت بكساء كان عليها وقالت بيعوه فهو من بقية المتاع وقالت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا

وندخر شيئا عنه ، ومن آدابها أن يصلى لابسها عقب الباسها ركعتى القدوم بالاجماع من سفر الغفلة الى وطن الوصلة ، ثم يقبل على تقبيل يد الشيخ على عادة دخول الرياضات فى تقديم صلاة القدوم على صلاة التسليم ، ومن فوائدها أن ببركتها تلوح للابسها اشراك الفتى فيحذرها ويعلم أن النكير يشتد عليه من كل طائفة فينكرها ، وان بدا منه اضطراب فى شىء من ذلك فذلك لانه :

ضاق بحمل العذار ذرعا ... كالمهر لا يعرف اللجاما

وأنشدنى رضى الله عنه لطاهر بن حسن المخزومى :

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى ... وعليه من نسج المسوح مرقع
بطرائق بيض وسود لفقت ... فكأنه فيها غراب أبقع
ان التصوف ملبس متعارف ... يخشى الفتى فيه الالاه ويخشع

وأنشدنى أيضا لغيره :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا
وان ترى خاشعا لله مكتئبا ... على ذنوبك طول الدهر محزونا

(ومنهم) الغمر الديم ، الغر الشيم ، الشيخ العالم الاصيل جمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين محمد بن المنير . له البيت الذي نمى على قواعد الاديان الصحيحة ، وسمى على عمد الاعمال الصالحة والانساب الصريحة ، والعلم الذي أنارت ثواقب مفاخره ومآثره فى أقطار الافاق وآفاق الاقطار ، وطارت مناقب نزاهته وعدالته فى

الخافقين كل مطار وانتظمت اسلاك أصالته فى اجياد الاسطار وهمت سحائب كرمه على الدانى والقاصى كالغيث الواكف المدرار . وسرت أمثال علمه سرى نسمات باسمات الازهار . وبهرت صفات شخصه النفيس الجوهر المطهر المحتد الكريم العنصر المشرق الانوار ، واستدار فلك مجده على قطبى العلم والدين واسخار قمر هديه اشرق من الصبح المبين ، فسما فى العلم علما راسخ القواعد ، مشار اليه من كل غائب وشاهد ، آونة للصلة وأونة للعائد ، مشاورا فى نوازل الديانات ، مستفتى فى عوارض غوامض القضايا المشكلات تصطفيه الرتب العلية السنية ، وتتنافس فيه الخطط الشرعية السنية ، فطورا مقدما فى أندية الوزراء والاعيان ، وتارة صدرا فى قضاة العدل والاحسان ، حتى اعترف بارشاده الخاص والعام ، واغترف من بحر ارفاده الراوي والظام ، فما من جار فى تحصيل مرام الا عليه اعتمد ، وما من سار على سبيل اعتصام الا بدليله استرشد :

ومن يساجل صوب العارض الهطل خلاله عن طريق المجد حاسده

سبحان جامع هذا الفضل فى رجل علم وحلم ورأي محصف(31) وندي

لقيته بمنزله من الاسكندرية فسمعت عليه أكثر تآليف عمه العالم الكبير قاضى قضاة الاسكندرية ناصر الدين أبى العباس أحمد بن محمد المنير رحمه الله ، ومنها الارجوزة الكبرى التى فسر فيها القرآن العظيم ، وتأليفه المفيد الذي فسر فيه تراجم أبواب صحيح البخاري رضى الله عنه ، وجزء فيه أحكام السماع بشروطه ، وغيرها من تآليفه ، وحدثنى بها عنه سماعا عليه وسمعت عليه غير ذلك وأجازنى وكتب لى بخطه وأنشدنى من شعر عمه المذكور جملة مقطوعات حكميات وزهديات ، قيدتها فى غير هذا وأنشدنى له كذلك الشيخ العالم الاوحد مفتى المسلمين عز الدين أبو اسحاق ابراهيم بن نور الدين أبى عبد الله محمد بن حباسة وقال

---

(31) فى الاصل وراي محمد .

أنشد فيهما غير ما مرة ناظمهما قاضى القضاة ناصر الدين المذكور يمدح والدي نور الدين رحمهما الله تعالى :

يا نور أوصافك الغراء كالحبـك ووجهك البدر بدر التـم فى الفلك

عليك نــور بهى لا خفاء بـــه نور العفـاف ونور الدين والنسك

وذكر لى الشيخ عز الدين المذكور قال ولى نصر الدين بن المنير هذا القضاء بالاسكندرية وهو ابن خس وثلاثين سنة وكان مشائخه من نوابه رحمة الله عليه ، ومنهم العظيم القدر المشروح الصدر الشيـخ المحدث العدل ، صدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام الكبير محيى الدين أبى عبد الله الزماتى المالكى الشهير بأبى حافى رأسه ، نوع آخر منه ، وفرع من أصل يقصر الوصاف عنه ، فان والده محيى الدين، من كبار الائمة المهتدين ، وهو الذي أحيا لسان العرب وعلم العربية فى الديار المصرية والاسكندرية ثم تولد هذا الفرع عن ذلك الاصل ، وتخلد نسخة ثانية من الفضل :

وحسبكم مجدا أثيلا مكـارم جسـام تلافيها العقيـب عقيب

حووها على مــر الليالى وراثـة تشابـه فيهـا منجب ونجيـــب

فنجب وأنجب ، وساد وشاد ، وجاد وأجاد ، وأفاد واستفاد ، وأقام المتن والاسناد ، ووعى وعلم ، واجتنى ثمر الحكم واجتلى غرر الكلم ، الى تظرف يواجهك بالوجه الوسيم ، وتلطف يحادثك محادثة النسيم ، قد تولته السنة الحمد من القاصد والوارد ؛ وأظلته سماء المجد بجمال المشتري وظرف عطارد ، فهو درة العصر ، ونخبة فضلاء ذلك المصر لقيته بدكانه من الموثقين من الاسكندرية ، فسمعت عليـه أجزاء عديدة مفيدة ، منها جزء فيه المجلس الخامس فى فضل صـوم

المحرم ؛ تخريج الحافظ أبى المظفر منصور بن سليمان بن منصور الهلدانى الشافعى بسماعه بجميعه منه ، وجزء فيه مقطعات وأبيات والجزء بجميعه من نظم الامام العلامة الاديب أبى النصر مظفر بن محاسن بن على بن نصر الله الذهبى الدمشقى بسماعه عليه واجازته له ، وسمعت عليه غير ذلك واجازنى اجازة تامة مطلقة عامة ، وكتب لى بخطه ، ومولده سنة ثلاث وستين وستمائة بالاسكندرية وانشدنى لوالده محيى الدين المذكور يرثى بعض الفضلاء رضى الله عنه :

من لمسترشد ببسط البيان ... من لمسترفد ببسط البنان

مات برهان الدين فابكوا وقولوا ... ويح دين خلا من البرهان

عين انسان دهري (32) كان وتدري ... فقد عين الانسان للانسان

و (منهم) الباهر الفصاحة ، الطاهر الجناب والساحة الشيخ الفقيه العالم ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ العالم المصنف المرحوم وجيه الدين أبى بكر بن عبد المنعم ابن على بن ظافر بن مبادر الشافعى الزبيري من ذرية مولانا الزبير بن العوام رضى الله عنه حبر خير ، مقيد مفيد ، متقن ، متفنن ، ناقد ناقذ ، قد زان العلم بالحلم ، والنباهة بالنزاهة والذكاء بالزكاء ، والرواية بالدراية ، فجمع بين العلم والتقييد ، واعتلاء الاسانيد الى دين متين استمسك بعروته الوثقى وزهد جرى منه الى الامد الاقصى ، وأياد على الانام لا يجوز أن تكفر ، وحسنات حق ذنوب الايام بها أن تغفر ، فاستحق من الثناء ما يستغرق لفظ اللافظ ، وارتسم فى رتب العلاء بالامام الحافظ ، وأقسم بالرحمان والمثاني والقرآن ، أنه لفخر الاعيان ، وعين انسان الزمان ، وانسان عين البيان ، وأبلغ من نابغة بنى ذبيان ، ومن أبى الحسين عند بنى

---

32) فى الاصل انسان الدهر .

حمدان ، ونائب ديوان الانشاء ببغداد ، ومع طيب النحيزة (33) وشرف هذه الغريزة ، فقد كان له من نفوس الناس محل لفضله ، واعتداله وانقباضه عن مظان الاقتحام والتزامه لا جرم أنه حسن الطريقة والسمت ، ذو معرفة بموضع الاصابة فى النطق والصمت :

(اذا ما اجتبى فى القوم أو نطق اقتدى
بحكمته لقمان أو هابه كسرى)

لقيته وسمعت منه وقرأت عليه بلفظى جميع كتاب التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى وحدثنى به عن الشيخ الامام الزاهد العابد شيخ المتصوفين جمال الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الملك الحميري الشاطبى المالكى سماعا منه عليه بجميعه فى مجالس آخرها سلخ جمادى الاولى سنة سبع وستين وستمائة ، وحدثه أنه سمعه بمدينه شاطبة جبرها الله تعالى عن الشيخ المعمر المسند المحدث أبى عبد الله محمد بن سعادة الشاطبى ، وسمعه ابن سعادة على الامام المقريء أبى الحسن ابن هذيل البلنسى ، وسمعه ابن هذيل على الامام أبى داود ، وسمعه أبو داوود على مصنفة أبى عمرو الدانى رحم الله جميعهم ، وأجازنى الاجازة التامة وكتب لى بخطه فى عام واحد وستين وستمائة وله رطوبة أدب وحلاوة شعر أنشدنى لنفسه ملغزا وعنى به القرآن العظيم :

شىء عجيب أمره ... النصف منه عشره
عذب لذيذ مشتهى ... سهل يسيل ذكره
لم يستطع تفسيره ... الا عظيم قدره

---

33) ن 2 النحيزة وهى الطبيعة .

وما زلت أختلف اليه واقرأ عليه الى أن اتفق من جملة المقادير والاسباب أن هيأت لتونس قرقورة لبعض الاصحاب فعرض على السفر فيها عرض الكرماء ، وحضنى عليه فأنشدته :

ما أنت نوح فتنجينى سفينته ولا المسيح أنا أمشى على الماء

ثم رفضت الغربة، وفرضت القربى، والقربة واغتنمت المركب المبارك والصحبة ورددت الاستخارة وجددت الاستشارة وعزمت على ما عرفت من مكابدة البحور ، وركبت أنا وأخى فى المركب المذكور فكان ركوبنا بمرسى منار الاسكندرية فى عشى عيد الفطر يوم الاربعاء عام ثمانية وثلاثين المذكور وظللنا ليلتنا تلك نقلد ونواسى ونرقع الرقائق والمراسى الى أن أخذ منا السهر واستبان لنا السحر ، وأطلت راية الصباح فى أفق الشرق .حتى :

كان سواد الليل والصبح طالع بقايا مجال الكحل فى الاعين الزرق

وأخذنا نسير ونمور وننجد بين الامواج ونغور ، ونصبح ونمسى ليس الا السماء والبحور ، الى أن اشتدت علينا الرياح الغربية وتحكمت فينا المياه البحرية فتقهقرنا بسبب ذلك الى أن أشرفنا على مرسى طبرق من مراسى برقة المشئومة فدخلناه يوم السبت التاسع لذي قعدة من العام المذكور فنزل به من الاصحاب من قدر الله فى سفره من البر نزوله ونظمت فى ذلك ساعة وصوله ودخوله :

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق أجلى صباحك عن نوى وتفرق
ألفت بين مفرق ومجمع وجمعت بين مغرب ومشرق
ضحك الفراق لنا وقد عبس الدجا فبكيت فيه بدمعى المتدفق

قـد مزق الاصباح ثوبك مثل ما مزقت ثوب الصبر كـل ممـزق
ورمى سوادك من بياض صباحـه بمثال ما صنع الفراق بمفـرق
أبـدا بحلكتـه بيـاضا ناصعـا فأعاد دهمتـه شيـات الابلـق
وتبسـم الزنجى فيه تعجبـا من قسوة البين الذي لم يرفـق
أكثرت يا جفنى البكـاء لبينهـم لا تخشـى من أقلال دمع أنفـق
ولقد رهنت القلب فيهم فانثنـوا وبقيـت رهن صبابـة وتشـوق
نهضوا وما نفضوا المواثق ان هم شرحوا شهور المستهام الموثـق
بانوا فيا بان اللوى هل بلغـوا منى السلام الى النقـاء والابرق
راحوا فراح تصبري من راحتـى يا راحتى روحى امام الاينـق
مروا فحلو العيش مر بعـدهـم وحللت حالـى مركـب أو زورق
وقفوا لتوديعـى ففاضت أدمعى أسفـا وغاضت بالزفير المحـرق
ومن العجائب أن دمعـى أحمـر والجفن يسبح فى الغدير الازرق
يا راحلـين لارض أندلـس اذا جزتـم على بان الكثيب المونـق
وبدت لكـم تلك الربا الخضر التى تهدي الشذا من عرفها المستنشق
عوجوا على تلك الديـار وقبلـوا جدرانهـا بتلطـف وتملـق
وقفوا هناك على المتيم وقفـة تذر الهوى فى قلب من لـم يعشق
وصفوا لذياك الفريـق تفرقـى منكـم وتقديدي لدمعـى المطلق
قولـوا تركنـاه وقد أخذ الهـوى منه اعتداء أخذ من لم يشفـق
وعلـى تحـول حالتيـه فانـه بـاق على حفظ المـودة ما بقى
يهـوى لقاءكم ويابـى دهـره واصدعة الاكباد ان لـم نلتـق

وأقمنا به ننظر تأتى الريح ، ونعانى من أهل برقة ألم الوجد وعظيم التبريح الى أن أقمنا به مدة ، ورأينا الامر لا يزداد إلا شدة فرفعنا الشراع للرجوع وسرنا ولا كرامة للسلوة ولا للهجـوع .

واذا أتاك من الامـور مقـدر ففررت منـه فنحـوه تتوجـه

وخرجنا من المرسى المذكورة يـوم السبت السادس عشر لـذي قعدة المذكور ، فنزلنا به للاقامة . وحمدنا الله تعالى على السلامة ، ثم حللت من المدينة بالمدرسة السراجية ساكنا وقد نال منى نصب البحر ظاهرا وباطنا ، وعدت لعادتى من الاجتماع بالفضلاء ، والانتفاع بالعلماء

كأن لم يكن بين ولم تـك فرقـة اذا كان من بعد الفراق تلاقـى

ولما نزلنا بالمدرسة السراجية الحافلة ، وجمعت فيها بين الفريضة والنافلة ، صادف نزولى بها قدوم مدرسها الاكبر وامامها الاشهر ، الشيخ الفقيه العالم مفتى المسلمين شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح المرحوم شرف الدين أبى الروح عيسى بن أبى الحسن على بن أبى الحسن اسم كنيته ابن أبـى العـلاء عبـد اللـه الكنانى الشافعى الشامى ثم الاسكندري نفع الله تعالى به وافى من سفر كان ابطأ فيه ، ثم أسرع به الى الحظ الذي يقرب الامل النـازح ويدنيه ، فحللناها حلول الهائم المجد ، فى وصل الحبيب المسعد ، منشدين (ويجمعنا شتى على غير موعد) واستقررت منها بمسكن مجـاور لمسكنه ، حيث مأوى تدريسه ، وخزانة كتبه ، فكان فيه جاري بيت بيـت ، والمهـدي لوجـارى (34) حتـى الخل والزيت ، فسقانى حتى

---

34) الوجـار : حجـر الضبـع .

أروي كل ظمأ وجواد (35) واحلنى من مبرته بين ناظر وفؤاد ، ووالى من اتحافه ، وضروب ألطافه، ما حسبتنى به مفطوما يعلل على الفطام، ورأيت الامانى مجنوبة (36) الى فى الخطام :

وحسن طعم العيش حتى أعـاده   ألذ من الاغفـاء فى عقب السهد

وكنت كثيرا ما أجلسه فأقطف من مؤانسته أعبق نور ، وأحالنـى بمجالسته كجليس القعقاع بن شور ، وانسى فى اليوم فعل الامس ، كما أربى على ليلة البدر يوم الشمس ، ففى كل يوم أزيد فيه اغتباطا ، واستوثق فى يدي محبته ارتباطا ، وكأنى استقبل منه فى كل زمن فرد رباطا ، ولما حملنى من مننه أعظم من جهدي ومن طوقى

أصبحت كالورقاء فى شكره   لما غـدا انعامـه طوقـى

الى مـا استدفـدتـه مـن الفوائـد العلميـة ، والمسموعـات النبويـة والـدرر الادبيـة اذ هـو روضـة العلـوم العاطـرة الريـا، الباهـرة المحيـا ، النادرة فـى هـذه الـدنيـا ، نـاهيـك من رجل هجرت الى لقائه المواطن ، واستنارت له بأنواره المعرفة الظواهر والبواطن ، فهو اليوم عمدة الصقـع الاسكنـدري ، والمفتـى علـى الاطلاق فى مذهب الامام الشافعى ، ومقتدى الفرق فى العلم العقلـى ، ومن لا يختلف اثنان فى فضله الفرعى والاصلى ، يقول فيختلس العقول ويكتب فيجلب ويخلب ، فان عبر ، قلت بالسحر خبر ، وعنبر الشجـر حبر ، حتى اذا تكلم فى العلويات والسفليات والعلوم الربانيات ، والحكم الادبيات ، والحركات الهندسيات أسمعك رغائب الغرائب ، وأطلعك على نجائب العجائب مع ما منحه الله تعالى وخوله ، وجبله عليك وركبه فيـه من الشجاعة الغريزية والنجدة النفسانية والقوة الجسمانية التى هـى

---

35) جـواد كغـراب العطـش أو شدتـه

36) منقـادة

مواهب الجلال وكمال خصال الكمال ، والفرق بين النساء والرجال ، وقد خصه الله تعالى منها بالحظ الاوفر ، والنصيب الاكبر ، والجزء الذي لو قسم على الاجناد لا غنى عن الدرع والمغفر ، يبدو غنترى طلعة بدر ، وجلالة قدر ، وسعة صدر ، ونهضة لا مشوبة بأشر ، ولا منسوبة لغَدر، ثم ينيلك بدائع دانيات القطاف ، ويعاطيك أحاديث مستعذبات النطاف ، ويهاديك أزاهر من حدائق القراطيس أو من اعطاف القضب اللطاف ، فتسيل هذه زلالا ، وتطلع هذه من سحائب أنامله هلالا ، ومنه تعلمت أحكام الرماية بالقوس العربية ، وهو رضى الله عنه محكم لذلك غاية الاحكام ومهتم باكتساب أنواع السلاح غاية الاهتمام ، فلو شاء لأخرج منخزائنه الواسعةما وسع الجمهور منالسلاح الموفورة، والعددالمذخورة وآلات الحرب المنيعة المحذورة الى غيرها من أمهات المجلدات وألوف التآليف المؤلفات وصنوف التصانيف المجموعات المصنفات قرأت وسمعت عليه عدة من تآليفه التى أفاد فيها وأجاد ، ونسخت منها ما سئت وبالغت فى تصحيح ذلك معه ما استطعت وقرأت وسمعت عليه نيفا على الثلاثين تأليفا فى فنون شتى تقيدت أسماؤها وأسانيدها فى بر:امج روايتى ، وأجازنى وكتب لى الاجازة الحافلة بخطه وأنشدنى للملك الاشرف فى مملوك له جميل وقعت عليه شمعة فأصابت شاربه فقال فيه بديها :

وذي هيف زارنى ليلة ... فأضحى به الهم فى معزل
فمالت لتقبيله شمعة ... ولم تخش من ذلك المحفل
فقلت لصحبى وقد حكمت ... صوارم لحظيه فى مفتل
أتدرون شمعتنا لم هوت ... لتقبيل هذا الرشا الاكحل
درت أن ريقته شهدة ... فحنت الى الفها الاول

وأنشدنى لابن سرايا الحلى من أهل العصر فى شمع كان يدخل به الى مجلس صاحب ماردين على أيدي الغلمان الحسان :

أهــلا بشهب فى سماء المجلس | هتكت أشعتها حجـاب الحنـدس
زهر اذا أرخى الظـلام ستـوره | فعلت بها كصحيفة المتلمـــس
هيف القدود تريك بهجـــة منظر | أبهى لديـك من الجواري الكنس
كالقضب الا أنها لا تنثنـــى | منها القـدود وزهرها لم يلمس
أذكت لحـاظ عيونهـا فكأنهـــا | زهــر تفنق فى حديقــة نرجـس
نابت عن الشمس المنيرة عندمـا | حبست وساطع نورها لم يحبس
واذا تحذرت النجـوم رأيتهـــا | ترعى الصباح بمقلة لــم تنعس
وضحت أسرتها وقد عبس الدجا | وتنفست والصبــح لــم يتنفس
ان خاطبتها الريح رد لسانهـــا | همسا كلجلجة اللســان الاخرس
واذا تعودها النسيم تــرى لهـا | خفقـــا كقلب الخائف المتوسوس
فى طرفها عمش اذا حققتـــــه | لم يبد منها الاســم ما لم يعكس
عجبا لها تبدي لعط (37) لسانها | بشرا وتحيا عند قطــع الارؤس
رضيت ببذل النفس حين تبوأت | من حضرة السلطان أشرف مجلس
الصالح الملـك الذي أنعامـــه | طوق الغنى (38) وطوق جيد المفلس
شمس حكى الشمس المنيرة باسمه | وضياء بهجته وبعـد الملمـس
هو صاحب البلد الذي لسماحـه | بالرفق يبلغ لا بشـق الانفـس
لا زال فى أوج السعادة لابســا | من حلــة النعماء أشرف ملبـس

---

37) غط الشىء فى الماء غمسه وغوصه فيه ، وفى ن 2 و 3 لغط وهو خطأ

38) فى الاصل طـوق الغنــا .

وأنشدنى لـه تورية فى ساقـى :

وساق مـن بنى الاتراك طفـل　　أتيه بـه على جمـع الرفـاق
أملكـه قيـادي وهـو رقـى　　وأفديـه بعينـى وهو سـاق

وأنشدنـى لـه أيضـا :

مـا زال كحل النوم فى مقلتـى　　مـن قبل أعراضـك والبيـن
حتى سرقـت الغمض من ناظري　　يـا سارق الكحل من العـين

وأنشدنـى لابـن الاثيـر الجـزري :

كـأن فى فيـه نبـاذا وألـــلالا　　وبين جنبيـه نفاثـا ونبـالا .
منوع الحسن يبدي من محاسنه　　لا عيـن الناس أصنافا وأشكالا
فلاح بدرا ووافى دميـة وذكـا　　مسكا وعـن طـلا وازور رئبـالا
وافتر درا وغنـى بلبلا وسطـا　　عضبـا ومـاج نقى واهتز عسالا

وأنشدنـى لـه أيضـا :

ان التى ملكتنى فى الهوى ملكـت　　مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا
رنت غزالا وباهت روضة وبدت　　بدرا وماجت غديرا وانثنت غصنا

وأنشدنى : قال أنشدنى قوام الدين العجمى بمصر مـا ادعـاه لنفسـه وهـو :

تصامصت اذ نطقت ظبيـــة تصيد الاسود بالحاظهـا
ومـا بـى وقـر ولكننـى أردت اعـادة ألفاظهـا

قال واستحسنها أهل مصر ، وعارضها منهم ألف وخمسمائة شاعر وأعجب بالبيتين صاحبنا شافع بن عبد الطاهر كاتب السر للسلطان الملك الناصر فاستحسنهما واستقصر جميع من عارضه فيهما من الشعراء ثم وقع فى نفسه أنهما لغيره فلم يزل يكشف عنهما حتى وجدهما لابـن الرومى فى ديوانه الكبير قال فلما وقف عليهما فيه بعثنى بذلك اليه فأعلمته ، فقال قوام الدين المذكور وهو وأنا معا بالجامع الاعظم من مصر والله الذي لا اله الا هو ما علمت بهما قط ، وأن هذا لمن توارد الخاطر ، ووقوع الحافر على الحافر ، وذكر أنه دخل بعض الشعـراء من المغاربة على صاحب طرابلس الشام وبين يديه مملوك جميل الصورة فى نهاية الحسن والجمال فاتفت الشاعر وجعل ينظر حسنه فقال له السيد ان كان قد أعجبك فامدحه بشعر حسن وخذه هدية لك فأنشد فيه قصيدة أولهـا :

تناقده غضن الصبا فصبا سكـرا فعربد ساجى طرفـه نافثا سحرا
غريب معانى الحسن ذابل قـده يريك قضيب البان قد أثمر البدرا
جرى قلم الريحان يثبت حسنـه فخط بمسك الخال فى خده سطرا
ونادى بلال الخال من فوق خده تبارك ممن فرعه أطلع الفجـرا
وسبحان من أنشأ بخده جنـة وأجرى بها ماء وذكى بها جمـرا
وساق الى فيه من الخمر كوثـرا مكللـة فى كـأس ياقوتـة درا
فلو لم يكن مبعوث حسن لما غدت صحائف آيـات الجمال بـه تقرأ

قال فلما أنشد الابيات ، أعجب بها السيد فوهب المملوك له ثم افتداه منه بعد ذلك بوزن المملوك دراهم عشر مرات : قال رضى الله عنه ومن أخبار المتوكل مع ابن الجهم انه دخل عليه يوما فأنشده شعره الذي يقول فيه :

(هى النفس ما حملتها تتحمل)

وكان فى يد المتوكل جوهرتان فأعطاه التى فى يمينه فأطرق يفكر فى شعر يأخذ به الاخرى فقال له المتوكل انما تفكر فيما تأخذ به الاخرى ورمى بها اليه فقال ابن الجهم :

يسر من رأى امام عدل تغرف فى جوده البحار
يرجى ويخشى لكل أمر كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرتان كلتاهما فى الندا تغار
لم تأت منه اليمين شيئا الا أتت مثله اليسار

قال : قال أبو العتاهية بيتين فى أيام الرشيد ورفعهما الى زبيدة يمدح ابنها محمدا وهما :

لله درك يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من العلا والسؤدد
ان الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمد

فأمرت أن يملأ فمه درا ، وذكر لى أنه لما صلب ابن بقية وزير بغداد وكان الخليفة قد وكل به من يحرسه ليلا ونهارا ولم يتجاسر أحد

على أن يرثه ، وقف الكاتب ابن الانباري عليه والناس حوله قائمين صفوفا فرثاه بقولــه :

علوا فى الحياة وفــى الممــات لحــق أنــت احـدى المعجـزات
كأن الناس حولك حين قامــوا وفــود نــداك أيـام الصـلات
كأنــك قائــم فيهــم خطيبــا وكلهــم قيـام فــى الصـلاة
مــددت يديــك نحوهــم اكتفاء كمدهمــا اليهــم بالهبــات
ولما ضاق بطــن الارض عن أن يضم علاك مــن بعــد الممــات
أصــاروا الجــو قبرك واستنابوا عــن الاكفان ثوب السافيــات
ولم أر قبل جذعك قط جذعــا تمكــن مــن عنــاق المكرمــات
لعظمك فى النفوس تبيت ترعــى بحــراس وحفــاظ ثقــات
وتشعل حولــك النيران ليــلا كذلــك كنـت أيـام الحيــاة
ركبــت مطية مــن قبل زيــد عــلاهــا فى السنين الماضيـات
وتلــك فضيلــة فيها تــأس تعانــد عند تعبير العــدات
أسأت الى النوائــب فاستثــارت فأنت قتيــل ثــأر النائبــات
وكنت تقيل من صرف الليالــى فصــار مطالبــا لــك بالثــارات
غليلــى باطــن لــك فى فــؤادي يخفــف بالدمــوع الجاريــات
ولو أنى قــدرت علــى قيــام بفرضــك والحقــوق الواجبــات
مــلأت الارض من نظم القوافــى ونحــت بهــا خــلاف النائحات
ولكنــي أصبــر عنك نفســى مخافــة أن أعــد من الجنــات .

ومالك تربــة فأقـــول تسقــى لانــك نصب هطل الهاطـــلات
عليـك تحيـة الرحمـان تتـرى برحمـات غـواد رائحــات

قال فأعطاه ابنه عليها ثلاثين ألف دينار كبار ، وقال الحافظ رحمه الله وأخبرنا أبو بكر يحيى بن ابراهيم السلماسى قال : قرأت علـى القاضى أبى القاسم ناصر الدين بن أحمد بـن بكـران الحوفـى ، ووجدت بخط والدي الشيخ أبى الطاهر بن أحمـد ابراهيـم بـن أحمد بن محمد السلماسى ، قال لما أمر عضد الدولة بقتل الوزير أبى محمد بن بقية وصلبه بمدينة السلام فى سنة سبع وستين وثلاثمائة كان له صديق يعرف بأبى الحسن الانباري فرثاه بهذه الابيات وكتبها ورمى بها فى شراع بغداد فتناولتها الادباء الى أن وصل الخبر عضد الدولة ، فلما أنشدت بين يديه تمنى أن يكون هو المصلوب دونه فقال على بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب اسماعيل بن عباد بالري وكتب له بالامان ، فلما سمع بذكر الامان قصد حضرته فقال له أنت القائل لهذه الابيات قام نعم قال : أنشدنيها من فيك فلما أنشده :

ولم أر قبل جذعـك قــط جذعــا تمكـن من عنـاق المكرمـــات

قام الصاحب فعانقه وقبل فاه وأنفذه الى حضرة عضد الدولــة فلما مثل بين يديه قال له : ما الذي حملك على مرثية عدوى فقال له : حقوق سلفت ، وأياد مضت فجاش الحزن فى قلبى فرثيت فقال : هل يحضرك شيء فى الشموع والشموع تزهر بين يديه فأنشأ يقول :

كأن الشموع وقـد أظهـرت من النار فى كـل رأس سنانــا
أصابـع أعدائــك الخائفـين تضرع تطلب منـــك الامانـــا

فلما أنشده هذين البيتين خلع عليه وحمله على فرس وأعطاه بدرة ، وذكر لى أن الخليفة الناصر كان وزيره ناصر بن مهدي الحسنى وكان كثير المخالفة فى كل ما يأمره به فقال للخليفة يوما بعض خواصه ان هذا الوزير يسىء الادب ، ويخالف أمير المومنين فيما يأمر به فوجد الخليفة لذلك وقال للوزير لئن خالفتنى بعدها أو عارضتنى فى شىء من أمري لاستبدلن بك من وجدته فى الحال ، فقال له : نعم واذعن للسمع والطاعة ، ثم أقام على ذلك أياما فعرض للخليفة فى بعض الاوقات أمر من الامور المهمات فذكره ودبر فيه رأيه فقال له الوزير لايا أمير المؤمنين، الرأي ان تفعل خلاف هذا ، فقام الخليفة لوقته وخرج من بعض أبواب قصره فوجد شابا مصفر الوجه يلتقط شيئا من نفاضات الموائد فدعاه الخليفة اليه وقال له أتحسن الكتابة قال : أجل (39) فدخل به وولاه الوزارة من حينه وخرج صاحب الشرطة بين يديه الى دار الوزارة وقام يدبرها أحسن تدبير ، وكان ظن الوزير المعزول أنه لا يوجد مثله لما كان فيه من المعرفة فكتب الى الخليفة رقعة فيها :

شمل النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

القنى فى لظى فان أحرقتنى فتيقن أن لست بالياقوت

فلما بلغت الخليفة أخذها وأطال النظر فيها فقال له الوزير المستجد يا أمير المومنين أراك أطلت النظر فى هذه الرقعة فدفعها اليه وحكى له حكاية الوزير الذي كان قبله ، وقال استبدلنا به وليس عنه بديل فلما أخذها من يد الخليفة وسمع مقالته ونظر اليها قال : يا أمير المومنين أتأذن لى فى الجواب ، قال : نعم ، فكتب تحت البيتين :

نسج داود لم يفد صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت

وبقاء السمند فى لهب النار مزيل فضيلة الياقوت

---

39) ن 3 فقال نعم .

فلما نظر الخليفة الجواب بعث اليه به وقال غدا يأتى نعى الوزير فما أصبح الصباح حتى جيء بنعى الوزير وذكرت له بهذه الحكاية ما وجدته ببعض التآليف المعتمدة وذلك انه مر بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه فى السوق ، فقال يا غلام ارفق بـه فقال له الغلام الرفق به مضرة عليه ، قال : وما مضرته قال يطـول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف به احسان اليه يخف حمله ويطول أكله، فأعجب الملك كلامه فقال له : قد أمرت لك بألف درهم ، فقال رزق مقدور وواهب مأجور ، وقال : وقد أمرت باثبات اسمك فى حشمى ، قال : كفيت مؤنة فرزقت بها معونة ، فقال : لولا أنك حديث السن لا ستوزرتك ، فقال : لم يعدم الفضل من رزق العقل ، قال : فهل تصلح لذلك ، قال انما يكون الحمد أو الذم الا بعد التجربة ، ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها ، قال : فاستوزره فوجده ذا رأي صائب ومشورة تقع موقع التوفيق ، ومن ظريف الوجادة وغريب الاتفاق انى لما دخلت الاسكندرية قافلا وقعت عينى ببعض الجدران على هذين البيتين :

اذا ضاق بىصدري استعنت بخالق قدير على تيسير كل عسير
فبين انطباق الجفن ثم ارتفاعه فكاك أسير وانجبار كسير

ثم تنقلت خطى يسيرة واذا بحائط آخر مكتوب عليه ما نصه :

ما رأينا ضربة من بطل بحسام قطعت ألف قلم
بل رأينا نقطة فى كاتب بمداد نكست ألف علم

ثم دخلت المدرسة السراجية المذكورة آنفا فرأيت باعلى باب بيتى الذي سكنته فيها ما نصه :

عليك سلام الله يا خير منزل		رحلنا وودعناك غير ذميم
فان تكن الايام فرقن بيننا		فما أحد من صرفها بسليم

ثم تأملت فاذا بعده بخط آخر ما نصه :

تركنا همنا ثم ارتحلنا		كذا الدنيا نزول وارتحال
وما دهر على أحد بباق		ولا يبقى على الانسان حال

ثم ألتفت فاذا أمامه بخط آخر ما نصه :

قد حضرنا فى ذا المكان وغنينا		وكذا الدهر غيبة وحضور
قد حضرنا فى ذا المكان وغبتم		وقرأنا من بعده ما كتبتم
وذكرنا كم بكل جميل		فاذكرونا بمثله ان حضرتم

فعجبت لدار تدين برحيل وتتبىء عن سفر طويل وتفرق بين كل خل وخليل وكتبت من نظمى هناك بطرف دامع وقلب عليل :

قد استلم لنا الدموع نجيعا		وذكرناكم بخير جميعا
وسألنا يا حاضرين دعاء		واجترعنا الفراق والتوديعا

وكنت لما صدرت من الشام وخرجت عن أقطارها وسرت فى بعض قفارها أدانى السير الى اطلال عالية بالية فوجدت لرؤيتها كل الوجد وقربت اليها من البعد ، فاذا ببعض تلك الجدران مكتوب عليها بالفحم هذان البيتان :

ولقد ندمت على تفرق شملنا		أسفا ففاض الدمع من أجفان
ونذرت نذرا ان ظفرت بعودة		لا عدت أذكر فرقة بلسان

فعلمت أن كاتبهما مثلى بعيد الدار ، متصرف بين يدي الاقدار قد سئم السرى وشاقه النسيم متى سرى ، فدعوت الله تعالى فى جمع شملى وشمله ورد كل غريب الى وطنه وأهله وكتبت هنالك من نظمى على شاكلته وشكله :

ولقد جرى يوم النوى دمعى دما حتى لقال الصحب انك فان

والله أن سمح الزمان بقربنا لكففت من ذكر النوى وكفانى

وقرأت بخط الامام أبى الحسن على بن سعيد قال : قرأت بحائط التربة التى فيها معروف الكرخى الزاهد بالجانب الغربى من مدن بغداد (40) :

وما ضرنى الا الذين عرفتهم جزى الله خيرا كل من لست أعرف

وتحت هذا البيت : رجل غريب ، طاف بالارض غلم يظفر بحبيب ووجدت فى مقابلة ذلك بخط آخر :

لعمرك ما انتفعت بغير خل له عندي الذي أنفيه عنده

يراعينى فيصبح عبد قصدي كما أمسى اذا ما احتاج عبده

وتحتهما من صفا باطنه ، كأن كل العالم صديقه ، ومن كدر باطنه كان كل من فى العالم عدوه ، وجرى الحديث بذلك مع الشيخ الامام العالم مفتى المسلمين عز الدين أبى أسحاق بن حباسة رضى الله عنه بمنزله من الاسكندرية المحروسة ، فقال لى : سافرت الى الشام

---

40) ن 2 من مدر بغداد .

مع السلطان قلاوون الصالحى فبينما نحن نسير فى فلاث من الارض القفراء واذا أنا بطلل بال قد لمحته على بعد فحننت اليه وقصدته فلما دنوت منه الفيت عليه مكتوبا بالمداد ما نصه : جبت القفار ، ووقفت على الاثار ، فما رأيت صديقا صادقا ، ولا رفيقا موافقا ، فمن قرأ هذا الخط فلا يركن لاحد قط من الانام والسلام ، وحدثنى الشيخ الامام عز الدين المذكور قال أخبرنى أخى وصديقى الشيخ الامام القدوة رئيس الكتاب نور الدين أبو الحسن على بن الشيخ الامام الكبير ، رئيس الكتاب جمال الدين بن المكرم قال : سافرت مع السلطان الملك الاشرف ابن السلطان قلاوون الصالحى الى مدينة عكة فى غزوته اياها ، فأقمنا عليها ، الى أن يسر الله تعالى فى فتحها بعد مدة طويلة قال : فلما دخلناها دخلت الكنيسة التى كانت بها فاذا هى ذهب ساطع واذا أنا بكتب على حائط منها قريب العهد لم يجف مداده فيه ما نصه :

أدمى الكنائس أن تكن عبثت بكم — أيدي الحوادث أو تغير حال
فلطا لما سجدت لكن شمامس — شم الانوف جحاجح أبطال
ليكن عزاكن الجميل فانه — يوم بيوم والحروب سجال

قال فعلمت قطعا أن كاتبه نصرانى وعجبت فى ذلك غاية العجب وحدثنى الشيخ عز الدين المذكور قال وجد مكتوبا على باب كافور الاخشدي بمصر :

أنظر الى عبر الايام ما صنعت — أفنت أناسا بها كانوا وما فنيت
ديارهم ضحكت أيام دولتهم — فاذ خلت منهم ناحتهم وبكت

وذكر لى الشيخ عز الدين المذكور ان أهل مصرنا لهم جور من بعض ولاة كافور المذكور ولم يعلم بذلك كافور ولا أطلع عليه فاجتمع

خاصتهم وكتبوا له كتابا بالشكوى أعلموه فيه بحالهم ، نصه بعد البسملة أما بعد فانكم قدرتم فأسأتم وملكتم فقهرتم ووسع عليكم فضيقتم ، واغتررتم بصفو العيش ولم تتفكروا فى عواقبكم ، وتهاونتم بسهام الاسحار وهى صائبة لاسيما اذا خرجت من قلوب جرحتموها ، وأكباد اجتموها ، وأجساد اعريتموها ولو تأملتم هذا حق التأمل لاشفقتم ، أو ما علمتم ان الدنيا لو دامت للعاقل لم يصبها الجاهل ، ولو دامت لمن مضى لم يصل اليها من بقى ، وكفى بمحنة رجل يكون فى هلاكه فرج العالم كله ومن المحال هلاك المنتظرين وبقاء المنتظر به وحده ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون . وثقوا بقدرتكم فانا بقدرة الله واثقون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فلما وصل الكتاب الى كافور ساءه ، وشغل باله فلم يلبث سوى سبعة أيام حتى مات والشيخ عز الدين هذا هو أبو اسحاق ابراهيم بن نور الدين أبى عبد الله محمد بن زين الدين أبى الحسين يحيى بن وجيه الدين أبى على منصور بن أبى محمد عبد العزيز بن نور الدين بن أبى الحسن على بن حباسة بفتح الحاء المهملة . وحباسة هو ابن على بن محمد بن محمود بن موسى بن عز العرب بن زيد بن عمرو بن محارب ابن مكاثر بن رافع بن مدافع بن مغيث بن حرب بن عمارة بن المسيب ابن شريك بن محور بن حارث بن ربيعة بن معن بن وهب أياد بن حيا ابن عامر بن معاوية بن الحارث بن تميم بن مرة بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار ن معد بن عدنان ، هكذا كتبته من حفظه وهكذا صححته بعد عليه ، وان سلفه هذا من بنى تميم ، لذو مجد صميم ، وجد عند الملوك عظيم ، وقدم فى العلم ماضية على منهج قويم ، وصراط مستقيم وان الشيخ عز الدين هذا السالك مسالكهم وصالحهم ومحيى مآثرهم ، ومجدد مفاخرهم ، وأولهم فى حمل الفضائل وان كان آخرهم فهو دوحة المجد وريحانة الكرم الممد ، وروضة العلم ، وهضبة التقى والحلم تفتحت له روضة المعارف ، وتفسحت له المجالس بين الاعلام العوارف ،

فتدلت له ثمرات تلك الحدائق ، وعلت به دوحات أولى النهى والحقائق ، فصحب من أولياء الله تعالى فريقا ، وركب جادة الجد إليهم طريقا ، واتخذ العلم والعمل دليلا ورفيقا ، أخذ نفسه الكريمة بالتصوف فأدبها بآدابه وهذبها بملازمة أربابه . حتى آض شيخا لشيوخ تلك الطريقة ، وعلما فى اعلام أولى الحقيقة مع اتساع روايته . وامتداد باع درايته ، واهتمامه بالعلم وعنايته ، وتبحره فى استخراج جواهر الحكم وتقدمه فى السخاء والجود والكرم :

وتأخذه عند المكارم هزة كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

واظبته وقد ناهز التسعين ، وجف ماء عمره المعين ، الا أنه قد متع بلسانه وجنانه وأقطع ما شاء من احسانه وبيانه . ووضع له البركة فى سمعه وبصره وبنانه ، فما دخلت عليه قط الا وهو مطالع فى الدواوين والتآليف ، أو وناسخ لكن بالخط الرقيق والقلم النحيف على نحافة جسمه وقيامه ، فى ليله وصيامه فى نهاره ، له سماع من أبيه كثير ، والماع بفنون العلم أثير ، وقدره كبير ، وبيته شهير ، وله نظم يدل على رقة صنعه ، ويعرب عن كريم طبعه وأما نثره فشبيه بنثر الدر غير أن ألفاظه تزيد على أسماطه فى القدر لازمته كثيرا وتبنانى فكنت صدى صوته . وسلمان بيته ، وكنت كثيرا لا أستأذن فى الدخول عليه ولا أزال أقول بين يديه :

سلمان بيتكم وحق المجد أن يرعى ذمامه
فرضت صلاتك كالصلاة وحمد وافدك الاقامة

وقرأت وسمعت عليه نحو الاربعين مجلدا فى أنواع مختلفة وصححها لى بخطه وأجازنى الاجازة التامة ، ومما قرأت عليه بلفظى لعلوه فيه

جميع الاربعين حديثا السباعية الفراوية النيسابورية ، وجميع الاربعين حديثا البلدانية السلفية وجميع الاربعين حديثا الودعانية وغيرها ، مما قد استوفيته فى غير هذا) ، وأخبرنى أنه قرأ جميع الاربعين البلدانية السلفية على الشيخ الامام الكبير كمال الدين أبى الذكر أحمد بن رضى الدين أبى محمد عبد القادر بن المعالى رافع بن أبى الذكر أحمد بن الدمراوي بحق سماعه لها من الشيوخ الثلاثة العلماء الائمة أبى الفضل جعفر بن على بن هبة الله الهمدانى ، والشيخ جمال الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن مكى بن الحاسب سبط الحافظ السلفى رشيد الدين أبى محمد عبد الوهاب بن رافع بن على عرف والده برواح بسماعهم الثلاثة من الحافظ أبى طاهر السلفى (41) المخرج المذكور رحم الله جميعهم بمنه ، ومولده رضى الله عنه فى الرابع عشر من شعبان المكرم سنة اثنين وستين وستمائة وعنه أخذت خرقة التصوف ولبستها من عنده ومن يده كما لبسها من شيخه الامام الاوحد قطب الدين أبى بكر محمد بن أحمد القسطلانى رحمه الله (سنده المخرج فى تأليفه الذي سماه ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة ، وقد أخذت عنه عن شيخه هذا قراءة وتصحيحا ومن أصل المؤلف قطب الدين المذكور نقلته ومما أنشدنى غير مرة لشيخه قطب الدين أبى بكر قال انشدنيها غير مرة :

اذا المرء ربى نفسه بمراده ... فقد شاد بنيانا على غير أسه
ومن لم تربيه الرجال وتسقه ... لبانا لهم قد در من ثدي قدسه
فذاك لقيط ما له نسبة الورى ... ولا يتعدى المرء ابناء جنسه
وان شاب من بعد هذا رياسة ... فقد سكن الداء العضال برأسه
فكن قاطعا ان ليس يفلح دهره ... اذا كان ممن ذاق طعما لنفسه

---

41) زيادة ورشيد الدين الخ (فى ن 2 و 3) .

وأنشدنى الشيخ الامام الكبير الشهير شهاب الدين السهروردي وهو غير صاحب كتاب عوارف المعارف :

أبدا تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم والى جميل جمالكم ترتاح
وارحمة للعاشقين تحملوا ثقل المحبة والهوى فضاح
بالسران باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

وأنشدنى للملك الكامل رحمه الله :

طوا مغرما من أجاكم واطل الضنى وفى حبكم طيب المنام فقد فقد
أثار الهوى نارا تشب بقلبه فكيف باطفاء الغرام وقد وقد

وأنشدنى للامام أبى عبد الله الشافعى رضى الله عنه :

رضيت من الدنيا بقوت وخرقه وأشرب من كوز حوافيه تكسر
فقل لبنى الدنيا اعزلوا من أردتم وولوا وخلونى على البعد أنظر

وأخبرنى بسنده فيه قال أتى رجل أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم يقال له عنبسة الهلالى فقال يا محمد انى قلت شعرا أفتسمع منى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قل فأنشده :

وحى ذوي الاظعان تسبى عقولهم تحيتك الحسنى فقد يرقع النعل(42)
فان هتفوا بالقول فأعف تكرما وان خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذي يوذيك منه استماعه كأن الذي قالوا وراءك لم يقل

---

42) فى الاصل فقد يرفع .

فقال له صلى الله عليه وسلم : أجدت يا أخا العرب فتبسم الاعرابى وقال له يا محمد فهل أنزل عليك ربك شيئا مثل هذا فنزل جبريل عليه السلام وقال له : اقرأ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، فقال الاعرابى : أشهد أن لا الاه الى الله وانك رسول الله . ومن المستظرف ما أخبرنى به الشيخ العالم الزاهد جمال الدين أبو الفرج محمد بن الشيخ الفقيه الامام نجم الدين أبى البركات محمد بن الشيخ الفقيه الصالح المرحوم شرف الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن سلامة البلوي القضاعى المالكى الاسكندري رضى الله عنه قال : كان هنا ببلدنا رجل من أحسن الناس خطا ، فقطعت يمينه وصار يكتب باليسار أحسن ما يمكن من الخط فرفع الى أبى رسالة يستجديه بها وهى هذه وناولنى رقعة ، قد اتخذها الحسن بقعة أولها قطعة شعر قد صور من الامل ، وجسم من الكحل وخلى من السحر فنبت وقيد بالحبر فثبت تتبعها رسالة سلسالة ، كم سارقت الحواجب خط نوناتها ضاربه ، وخطت الاصداغ على مثل لامتها مباعدة ومقارنة ، واستمدت حبل التخفيف وخدع الصنع اللطيف فأيأس التابع فضل المتبوع ، وفضح التطبع شيمة المطبوع ، آخرها وكتب فلان بن فلان المقطوع اليد والقطعة هى هذه :

غربة تتبع قلة — أن في الفقر مذلة
أكرم الناس ويأمن — جوده فيه جبلة
لا تجد لى لسؤالى — انما جودك لله

فوعيت ما رأيت واستملحت ما لمحت وذكرت له ما رويته بسندي الى الحافظ أبى طامى أحمد بن محمد بن أحمد السلفى قال : أخبرنا أبو محمد بن السراج أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال الحافظ عن

أبى عمر بن حيوية الخزازي حدثنا أبو عبد الله النوبختى قال : قيل ان هذا الشعر لابن على بن مقله قاله من الحبس بعدما قطعت يمينه وقتل بعد ذلك فى شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

ما مللت الحياة لكن توثقت ... بايمانهم فبانت يمينى
لقد أحسنت ما أستطعت بجهدى ... حفظ أرواحهم فما حفظونى
بعت دينى لهم بدنياي حتى ... حرمونى دنياهم بعد دينى
ليس بعد اليمين لذة عيش ... يا حياتى بانت يمينى فبينى

وهذا الشيخ جمال الدين من كبار علماء المسلمين ، اعلم الناس بمذهب الامام مالك وأعلاهم فى دلالة تلك السبل والمسالك ، نسب أشهر من الشمس فى السماء وحسب كاتساق عقد النجوم فى نحور الظلماء ، وخلق أندى من الزهر وأسوغ من الماء الى سبق فى المنطق والجدل وحذق فى الاصول والفروع ، موقى من الخطأ والخطل ، وتشبث بأهداب من الاداب وتمسك من الرواية عن علماء أهل بيته وغيرهم بأسباب ، وشأن هذا الرجل عجيب فى نبوغه فى طريق العلم وبلوغه ، الى أعلى مراتب التقى والعلم وأطباق الناس على تعظيمه وحبه ، وانقباضه عنهم وانقطاعه الى ربه ، به يضرب المثل فى العلم والزهد ، وعند كلامه يقف الكلام فى الفتوى والرد ، مقبل على الآخرة معرض عن الدنيا ، عار من زخرفها الا ما يتخذه من ثوب حسن جميل حسنه وجهه الجميل . فترى رجلا زينه الله بهيبة وجلال والتقى عليه مسحة جمال ، وأكرمه أن يشغله بأهل أو ولد أو مال ، فكان اذا خرج من مدرسته حيث سكناه وتدريسه ، لم يخلف وراءه ما يتشوق اليه ، وحفظ الله عليه حسنه من شبابه الى شاختته فلم يتغير له ديباجه ولا انقطع عجب النواظر منه وعجبها به ، لازمته كثيرا ، وأفادنى من أفانين العلم المحفوظ وقوانين المفهوم والملفوظ ما لا يفيده الا الاعلام الجلة . وسمعت عليه

جميع الجزء المحتوي على ثلاثين حديثا من حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ثلاثين شيخا ، وبآخره فوائد وأناشيد متصلة به تخريج
الامام الحافظ أبى الظفر منصور بن سليمان بن منصور الهمذانى رواية
الشيخ أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبى طالب الازدي المعروف
بابن الدهان عنه حدثنى به عن أبى الدهان المذكور سماعا عليه ، وأطلق
لـى أن أحدث عنه وأن نفيد ما استفدته منه واجازنى اجازة تامة ،
مطلقة عامة ، وكتب لى بخطه ، وأخبرنى رضى الله عنه قال رأيت ليلة
من الليالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم جالسا وعن يساره
امرأة بيضاء اللون والثياب فلما وقعت عينى عليها صرفت وجهى عنها
مسرعا ثم رددته فرأيتها فصرفت وجهى عنها أسرع من المرة الاولى
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هى عائشة فقلت : قال أبـو
حامد الغزالى قال فاصغى الى مقبلا على كلامى عند ما ذكرته له فـى
الوسيط له وتخمين الظن فيما لا حاجة الى العمل به فى الحال تضييـع
زمان واقتحام خطر فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم نعم ،
قال : ثم شكوت له صلى الله عليه وسلم قضية ، فقال لى : اذا دخلـت
الحمام لا تتكلم ، قال : ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
الكريمة على ناصيتى وقام فقمت خلفه ثم رقى فى الهوى فرقيت خلفه
ولم يزل يرقى وانا أرقى خلفه الى أن استيقظت ، قال ففتح الله علـى
ببركة تلك الرؤية المباركة فى معرفة أشياء وافتتاح علوم لا يدركها الغير
والحمد لله ولنختم علماء الاسكندرية بمسك ختامها ووسط نظامهـا ،
وعاقد نقضها وابرامها ، ومالك خطامها وزمامها ، قاضى القضاة ، والقائم
بالمسير المرتضاة ، الشيخ العالم الكبير محيى الدين ، أبى عبد الله محمد
ابن عمرو بن عبد الوهاب بن خلف العلامى الشافعى معدن العلم والوقار
ورافع راية المجد والافتخار . الآخذ بذؤابة الحسب الشامـخ الذروة
العالى النجار المفيض من جنانه وبنانه ، بحار المواهب ومواهب البحـار
برز لرامح الخطب ، فحطم سمهرية ، ونزع عن قليب السخاء فلم أر

عبقريا يفري فريه (43) له سلف لم يعلق به صلف ولم يعرف لـه بغير العلم كلف ، استوزرهم السلاطين والملوك ، واستشعرهم الصدق والسلوك ، فاستقلوا بأجل الرياسة ، واستقبلوا الرعايا بأجمل السياسة ان خطوا فالاقدام عنهم تتأخر أو خطوا فالاقلام بهم تفخر ، بدورهم مشرقـة وبحورهـم مغرقـة ، ومآثرهـم مشئمـة معرقـة ، ولقـد اذخـروا لنـا منهـم درة تـاجهـم ، ونكتـة احتجـاجهـم وبشارة اقبالهـم وقـرارة أسيالهـم ، ففـرع هـذا الفـرع مـن تلك الاصول وبرع فى استقراء تلك الابواب وتيك الفصول وشرع فى تشييد المجد وتخليد الحمد ، فأعطى ما شاء من سبيل الى الوصول ، فاستخلصه الجناب السلطانى الناصري القلاوونى أيده الله ، ثم أنعم به على العالمين ، وآثر على نفسه المسلمين فولاه مدينة الاسكندرية قاضى قضاتها ، والمسارع الى مرضاة الله بمرضاتها فرفع علم الحق ونفع سائر الخلق حتى برئت تلك المدينة من سقمها وولدت بعد عقمها وبلغت أملها فى نفوذ أمرها وعدل حكمها فاستقامت الامور وانكشف الديجـور وسرى عن الناس ما كانوا فيه فكانما كانوا فى حندس ليل قاتم . فتجلى عن ضياء فجر ساطع فالاحكام به باهرة والايام بسيرته زاهرة ، والانام فى دولته تشملهم نعم باطنة وظاهـره :

ترى عظماء الناس من خوف لحظه كأنهـم الكـروان أبصر بازيـا
وما الخرق منه يرهبون ولا الخنا عليهم ولكـن هيبة هـى ماهيـا

هيبة التقوى لا هيبة الاقوى وخوف الجلال لا خـوف الاذلال ، وتلـوح فى أعطاف منطقـه شيـم الندا ومخائل الفضـل ، دخلـت عليه وقد صرفتنى الريـح عن وجهتـى الغربيـة مـن مواسطـة البحور ، وعرفتنى الحوادث فأنكرتنى معارف الجدة والوفور ، ومكثت

---

43) يقال يفـري الفـري اي ياتـى بالعجـب فى عملـه

فى مكابدة الاسفار ومعاناة البحار عدة من الليالى ، ومدة من الدهور ، فرفعت له من نظمى قصيدة ضادية حكت نسجها حاكيا ، ولكت فيها الزمان شاكرا وشاكيا ، فتقبلها بقبول حسن وايقظ لها اعتناءه ولم يكن ذا وسن وان كانت مزجاة البضاعة مستوجبة الاضاعة فعين الرضى كليلة عن كل عيب لا يرتضى ، وقد أثبتها فى ديوان شعري ؛ وربما والله أعلم أجادها فكري . فانه رأيته يقرأها ويتمايل طربا ويردد ألفاظها استحسانا وعجبا وسمعت الناس يقولون انها حسنة فلا أدري أصدقا أم كذبا ، وكيف ما كانت فقد جعلها الله لانتفاعى به سببا ، وان كنت كتبتها بالمداد فقد ملأ يدي فضة وذهبا ، وأمر لى مع ذلك بجراية نفقتى وراتبى فى كل يوم مدة اقامتى بالاسكندرية ومكثت كذلك تحت نائل جرايته ، وطائل عنايته ، الى أن افتصلت عنه مسافرا وودعته خجلا من فضله سافرا . فرحا برفده ، مفصحا بحمده ، متزودا من عنده فسمعت عليه بمنزله ومجلس حكمه من الاسكندرية المحروسة بلفظ امام المحدثين معين الدين أبى عبد الله المصغونى المتقدم الذكر ، وبفقد الرواية عنهما جميع تاريخ الرقة للحافظ أبى على القشيري الحرانى الرقى وحدثنى به عن الشيخ الامام أبى عمران موسى بن عثمان بن محمد البزاز سماعا منه عليه ، قال حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى يعقوب يوسف بن همة الله بن محمود بن الطفيل الدمشقى قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى ، قال أخبرنا المبارك ابن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن جعفر السلماسى ، قال : أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن أحمد بن القاسم بن جامع الدهان قال : حدثنا أبو على محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عيسى بن مرزوق القشيري الحرانى حافظ الرقة بالرقة ، قال الامام معين الدين المصغونى القاريء المذكور وهو فى اجازتى من الشيخ أبى عمران موسى بن عثمان بن محمد البزاز المذكور وقد سمعت عليه غيره من مروياته وكتب تدريسه المتداولة بين

يديه فى الحديث والفقهرواية وتفقها ، واجازنى الاجازة التامة المطلقة العامة متلفظا لى بها غير مرة وكاتبا بخطه ، ثم شرع الركب المغربى فى السفر وانقلب مقضى الحاجة فائزا بالظفر فاشتاق آخى محمد الى المواطن الاندلسية الكريمة ورأى أن يرجع بما سن الله تعالى له من الغنيمة فآثرت مذهبه فى ذلك ورأينا أن لا تنقطع عن الاهل المنقطعين هنالك فصرفتنى المقادير عن صحبته وقضت بقفوله وتسنى سفره مغربا على بغيته وسؤله ، ورحل ولا تسأل عن بقاءي بعد رحيله ، ورجوعى من وداعه الى موطىء قعوده ومواطن حلوله :

فلم أر أنسا قبله عاد وحشة وبردا على الاحشاء عاد غليلا
ومن تك أيام السرور قصيرة به كان ليل الحزن منه طويلا

ويا لساعات التوديع ما أشد كربها وأحد غربها ، وأكثر الهابها للخلد ، واذهابها بالجلد فصدر ووردت واجتمع وانفردت وعدت الى منزلى :

ولو جدي من العروض بسيط ومديد ووافر وطويل
لم أكن عارفا بهذا الى أن قطع القلب بالفراق الخليل

أدرى دمع العين ، وآسى لشمل لا ينفك من روعة البين ، وأفكر فى عهد كنت اليه استمنت ، ولعينى فى ظله أنمت ، فما برحت الايام حتى أخلقت برده وعلقمت شهده وأتته من بابها وعضته بنابها :

ورجعت من تشييعهم وقد علانى خبل .
وكل من خاطبنى قلت له قد رحلوا
يقول من أبصرنى وسوس هذا الرجل

فلقد أصابنى لفراقهم مـا أنــه :

لـو كــان بالفلــك الــدوار لـــم يــدر
أو كــان بالمــاء لــم يشرب مـــن الكـدر

أو كــان بالعيــش مــا فــى يــوم رحلتهــم
أعيــت علــى السائق الحــادي فلــم يســر

كــأن أيــدي مطاياهــم اذا وخــدت
يقعــن فى حــر خــدي أو علــى بصــري

فغودرت المنازل صما عمياء ، ودهيت من الفراق بداهية دهياء ، وبقيت لا ميتا مع الاموات و لاحيا مع الاحياء ، أتطارح بين تلك المنازل ، واتجرع غصص المنايا من خطب الفراق النازل ، وأترامى على مواطئى اخفاف الرواحل ، وأمر بخدودي على ممـر الحبيب الراحل . . .

وأنتســم نواســم تلــك المعالم فيفــوح لــى كالعنبر المتنفس
ونمشى حفــاة فى ذراهــا تأدبــا نرى أننــا نمشى بواد مقــدس

وعجبت للاسكندرية كيف جمعتنا ثم فرقتنا ولم تغربنا معا كمـــا شرقتنا وأنشدت :

من لم يكن أخذ الهوى بفــؤاده فلقد أخذت مــن الهوى بنصيب
فرأيــت أن أشــد كــل بليــة قضيــت على أحــد فــراق حبيب

وكان سفره مع الركب المغربى المذكور فى غرة جمادى الاولى مـن عام تسعة وثلاثين وسبعمائة :

راق الفراق لجيــرة مــن بعدهم مــا راق لى عيش ولا دمعى رقا
ولكــم سالت لينجــد الحادي بهم يوم النــدي فابى السؤال وعرقا

رحلوا وللزفرات بين ركابهم نار يكاد زفيرها أن يحرقا
يا باكى بالاطلال بعد حبيبه حزنا يومل دمنة أن تنطقا
بح بالسرائر واهم دمعك و اشتهر وجدا وبت النوم عنك مطلقا
ان الذين عهدتهم سكانها نعب الغراب بشملهم فتفرقا

فأقمت بعده للعلم ملازما ، تارة متعلما وتارة معلما إلى أن يسر الله تعالى فى تجهيز مركب سيف الدين ، وحان سفره بجمع عظيم من المسلمين فركبت فيه فى يوم السبت السادس لشوال من العام المذكور ، وسرنا فى مواسط تلك البحور طورا فى الصعود وطورا فى الحدور ، ولنحذف زيادة الانواء واثبات الجرور وعدة ما تكرر لى فى تلك الموسطة من المرات والشهور الى أن وصلنا (مرسى الحمامات) بليدة بقرب حضرة تونس فنزلت بها ضحوة يوم الاثنين السادس لذي قعدة من العام المذكور وخرجت منها فى ضحوة يوم الاربعاء الثامن لذي قعدة المذكور ودخلت حضرة تونس المحروسة فى ضحوة يوم الخميس التاسع من الشهر المذكور ، غنزلت منها بمدرسة الشماعين واجتمعت باخواننا وأوليائنا من الطلبة والمدرسين ، فألفيتهم لم ينقص الله لهم عددا ، ولا أراهم بالفراق شملا مبددا ، فسر الجميع بالاجتماع ، وأقمنا كما كنا على المذاكرة والانتفاع ، وكأنى ما مددت اليهم يدا للوداع فنشروا من در الثناء منثورا ومنظوما ، ونشروا من برود الصفاء مطويا ومكتوما فأنشدتهم :

انى وان شط المزار وبددت أيدي النوائب شملنا المنظوما
لم أخل من حسن الثناء عليكم مذ غبت عنكم ظاعنا ومقيما

وأقبلوا يطالبوننى بما اجتلبت من الفوائد ، ويقصدوننى فى اطلاق ما قيدت من القصائد ، ولا أحصى كم أديبا كتب عنى قصيدة صاحبنا جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن سليمان الدمشقى المعروف بالنابلسى ، وهى :

أسر الفؤاد ودمع عينى أطلقـا والوجد جدده وصبري مزقـا
حلو الشمائل مـا أمر صـدوده متنعـم قـد لذ لى فيه الشقـا
بعث الغرام الـى المنام فـرده عن عين عاشقه فبات مؤرقـا
ان قلـت مالى بالتجنى طاقـة ولـى وباب الوصل عنـى أغلقـا
ظبى من الاتراك ينفـر خيفـة فى الحب من شركـى به ان يعلقـا
وتصـح نسبتـه اذا حققتهـا للترك لحظـا والاعاريب منطقـا
طرح الذؤابـة خلفـه فحسبتهـا حنشـا بغصن أراكة متعلقـا
تصل الركاب اذا تمثل راكبـا فاذا ترجل ضمهـا متمنطقـا
طالت فزاد سوادها فظننتهـا ليـل الصدود فلم أزل متعلقـا
للحسـن ماء جال فى وجناتـه كم فيه من انسان عين غرقـا
يسمـو بطلعته على قمـر السما وبلين قامته على غصـن النقـا
واذا تكلـم أو تبسـم ثغـره ما يترك السالى الى أن يعشقـا
فى مهجتى جمر الاسى متلهبـا وبثغـره مـاء الحياة مروقـا
يا طيبه ماء ويا ظمأي فهـل أروي بـه وأعـب حتى اشرقـا
(ومنها : يا عاذلى اقصر وتب عما مضـى
مـا أنـت فى عـذل المحـب مـوفقـا
قد قلت لى يسليـك عنه مثلـه وصدقـت لكـن مثلـه ما يلتقـا
يا فاتـر الاجفان احرقـت الحشا منى فذبـت صبابة وتشوقـا
يمضى الزمـان وما أزور دياركم مـن كثرة الرقباء عند الملتقـا
وأريـد أسبح فى الدمـوع اليكم فأخاف من ضعف القوى أن أغرقا

وأرد عن برد النسيم تنفسى　　أخشى يهب لكم لهيبا محرقا
أما غرامى من هواك فانه　　باق ولكن فى السلو لك البقا

وأخذت فيما كنت فيه من معرفة ولى أصطفيه أو عالم أبادر لملازمته وتحفيه ، فممن لازمته كثيرا ، وأخذت أولا واخيرا ، الشيخ الفقيه الاديب أبو العباس أحمد عبد الله الانصاري المعروف بالرصافى شيخ صالح غاد فى طاعة الله رائح معهم فى الحق ، أخذ بالجد والصدق ، لا يخالط أحدا ولا تراه الا منفردا مشتغل بالعلم والعمل ، خال من الحرص والامل ، محافظ على أوقات العبادة متقشف فى أحواله تقشف الزهادة ، مقتصد اقتصاد العليل ، مقتصر على أقل القليل ، قد استعد للرحيل ، وشمر للعبادة بجسمه النحيل ورسمه المحيل فاستنفد الدهر علالته ، واستنشق بلالته وغادره كالخيال الشعري ، والغرض الاشعري ، فهو يتظاهر بشعار المتحلم ويسفر عن سن عوف بن محلم عزيز النفس نبيل الحدس ، قوي المنة على الهمة مقبل على الامور الدينية المهمة ، مهتم بما ينيله خير الدارين ، قليل العيال ، وقلة العيال احدى اليسارين ، قد سلك فى العزلة أحسن المسالك وعمل على ما قاله امام البلاغة سهل بن مالك :

منغص العيش لا يأوى الى دعة　　من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته　　سكنى مكان ولم يسكن الى أحد

له حظ من الادب وافر ، ووجه بمحاسنه سافر ، وعناية هو بها مكاثر وامام ناظم ناثر ، رحل الى المغرب زمان شبابه ، وسلك سبيل الهدى ودخل من بابه ، فلقى جماعة من جلة العلماء وعلية الفضلاء منهم بسبتة الشيخ العالم العلم أبو القاسم بن الشيخ الفقيه المحدث أبى العباس العزفى اللخمى سمع عليه طائفة من كتاب الدر المنظم تأليف أبيه

وكتب لـه بالسماع والاجازة العامة والشيخ العالم الصالح الامام فى
علم العربية أبو الحسين بن الربيع القرشى سمع عليه كثيرا من كتاب سيبويه
ومن الايضاح ومن الجمل ومن شرحيه عليهما وأجازه وكتب له بخطه :
والشيخ العالم الناثر الناظم أبو الحكم مالك بن المرحل سمع عليه كثيرا
من تأليفه ومن أمداحه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن نظمه ونثره،
واجازه اجازة تامة مطلقة ، وقد قرأت عليه كل ما سمعه عليهم من ذلك
وحدثنى به عنهم ، والشيخ الفقيه الفرضى أبو اسحاق ابراهيم بن أبى
بكر الانصاري التلمسانى قرأ عليه قصيدته اللامية الشهيرة المتضمنـة
النسب النبوي الكريم ، والمعشرات التى له على أعاريض الشعر ،
والرجز الذي نظمه فى الفرائض ، وقد قرأت عليه أنا بلفظى جميع ذلك
كله ، وحدثنى به عنه قراءة عليه ، ومنهم بغرناطة الشيخ الفقيه المقريء
أبو جعفر بن الطباع قرأ عليه بعض القرآن العظيم وأجازه وكتب لـه
بخطه ، والشيخ الاستاذ النحوي أبو الحسن ابن الضائع الاشبيلـى
سمع عليه كثيرا من القائه فى علم العربية وأجازه اجازة تامة مطلقة
وكتب له بخطه والشيخ الفقيه المقري أبو سهل اليسر بن عبد الله بن
محمد بن خلف بن مروان بن اليسر القشيري قرأ عليه جميع الاربعين
حديثا عن الاربعين شيخا وهى المسماة بالجواهر والدرر تأليف الشيـخ
العالم الحاج الزاهد المحدث أبى الحسن على بن يحيى الازدي الجيانى
حدثه بها عن مؤلفها المذكور قراءة عليه ، وقد قرأت جميعها عليه ، وحدثنى
بها بالسند المذكور وأشياخه جماعة كثيرة احتوى عليهم برنامجه ،
وقرأت عليه جميع كتاب التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى رحمه الله
تعالى ، وحدثنى به عن الشيخ المقريء المسن أبى بكر بن محمد بن الفقيه
أبى عبد الله محمد بن أبى جعفر أحمد ابـن مشليـون الانصـاري
البلنسى قراءة عليه حدثه به عن أبى عبد الله بن نوح وأبى جعفر الحصار

---

44) عوف بن المحلم ، شاعر جاهلـى مشهور هو صاحب البيت . :
(ان الثمانيـن وبلغتهـا قـد احوجت سمعـى) الى ترجمان .

وأبى عبد الله بن مسعود الشاطبى قراءة عليهم قالوا : حدثنا أبو الحسن ابن هذيل عن أبى داوود عن أبى عمرو الدانى مؤلفه ، قال أبو بكر بن مشليون ، وكتب به الى اجازة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى جمرة المرسى عن أبيه سماعا عن مؤلفه ، وقد قرأت بلفظى جميع كتاب التيسير المذكور ببلاد المغرب والاندلس وغيرها على أزيد من عشرين شيخا من الشيوخ الجلة الاعلام ، وأخذته مبعضا وسماعا عن جماعة أخرى كذلك ، كل واحد منهم كتب لى بذلك بخط يده ، وأسانيدهم فيه مستوفاة فى برنامج روايتى ، وقرأت عليه جميع تخميس قصيدة الامام أبى عبد الله بن أبى الخصال البائية الشهيرة التى أولها (اليك فهمى والفؤاد بيثرب) للشيخ الاديب ، الفاضل أبى بكر ابن حبيش رحمه الله تعالى ، وحدثنى بالتخميس عن ناظمه ابن حبيش المذكور قراءة عليه . وقرأت عليه نظمه الذي خمس به قصيدة أبى اسحاق ابراهيم بن سهل الاشبيلى الاسلامى التى أولها (تنازعنى الامال كهلا ويافعا) وقرأت عليه كثيرا من نظمه ، وأجازنى وكتب لى بخطه ومولده بمدينة مرسية جبرها الله تعالى فى اليوم الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم من عام خمسين وستمائة وأخبرنى رضى الله عنه قال خمست هذه القصيدة العينية المذكورة منذ عشرين سنة فارطة عن التاريخ وكنت فى حين تخميسى لها رمد العينين فساعة ما أتممت تخميسها برئت من الرمد وشفانى الله تعالى وعاد بصري كأحسن ما كان ، وهو والحمد لله كذلك الى الآن ما شكوته بعدما كبر السن ، وأخبرنى قال : أخبرنى بمدينة سبتة شيخى أبو الحكم مالك بن المرحل رحمه اله تعالى قال : كان هناك معنا أبو اسحاق ابراهيم بن سهل المذكور وقد حسن اسلامه ولازمت الجماعات صلواته ، ولازم القراءة واشتغل بها ونظر فى الادب فنبغ فى الشعر وكان من جملة كتاب أبى على بن خلاص صاحب سبتة الى أن عين ابن خلاص ولده رسولا الى المنتصر ملك تونس ، ووجه ابن سهل معه فركبا فى البحر فى غراب ، وسار الى أن هال البحر فغرقا معاهما ،

وكل من كان ركب معهما ولم يخرج منهم أحد ، ولما بلغت المستنصر وفاة ابن سهل فى البحر قال عاد الدر الى وطنه ، وأنشدنى لابى اسحاق بن سهل المذكور :

تركت هوى موسى لحب محمد ولولا هدى الرحمن ما كنت اهتدي

وما عن قلى منى تركت وانما شريعة موسى عطلت بمحمد

وقد خرجت جميع ما أنشدنى لنفسه ولغيره من القصائد والمقطعات جزءا كبيرا ، وممن لازمت تعليمه ولزمت تعظيمه الشيخ الفقيه الامام أبو عبد الله محمد بن هارون أبقى الله بركته ، امام فى الفقه وأصوله . . وعلم الكلام وفصوله ، متوصل بالجد والجد الى حصوله ، فهو علم من أعلام المعارف ومعلم لأعلام الحلل الدينية والمطارف ، نبغ بما وعى من العلم الاصيلى المعرق ، وشفع ما استفاده من علماء بلدة تونس بما استفاده من علماء المشرق ، وأظفرته رحلته بالمبرزين العلماء والمدرسين القدماء وآب من رحلته وقد قضى عنه فرضه، واشتاقت اليه أرضه ، وكمل فضله ، واشتمل على الكمال الانسانى نقله وعقله ، فانبسط فى العلم بنباهته وانقبض عن العالم بنزاهته ، ولزم مطالعة حدائق دواوينه ، وحدق الى متونها عيون حذقه وفهمه ودينه، فنفع الله بعلمه بشرا كثيرا ، وأودع له فى قلوب عباده من القبول حظا كبيرا ، ولولا ما رزق من الزهد والقناعة لاعلق به قضاء الجماعة ، فنيطت به أحسن تلك المدارس ، وغبطت منه بالفوارس وأي الفوارس ، فقام العباد بحقه ، وصد قوافيه الخبر النبوي ، فلم يتماروا فى صدقه ، وعلموا أنه هو السابق فى هذا المضمار الذي لا يترشح أحد لسبقه ، فازدحم لافادته أفواج الناس ، واقتبسوا علمه ، وهو النور الذي لا ينقص بكثرة الاقتباس حتى أقرت له السادات بالتسديد وأحيا الله به سنة الاجتهاد حين وقف غيره على سنن التقليد ، فبرز فى ميدان تدريسه

بما برز ، وأحرز من خصل السبق ما أحرز من جلالة القدر ، وسعة الصدر ، وحسن الخلق واعتدال الخلق ، وسهولة العبارة وصناعة صياغة الكلام للبداوة والحضارة ، وقمع الباحث الملد ، ومزج أليفاظ الهزل بالجد كامتزاج الماء بالنار فى الخد ، الى تآليف قد اختص فيها بفصاحة اليراعة واقتنص فيها أوضح طرق البراعة ، فأحكم أصولها ، واتقن فصولها ، وركب على عواليها المثقفة نصولها ، وأحسن فيها ترتيب الايراد والاعتراض ، والقصد الى توفية الاغراض ، هذا الى الاختصار والايجاز ، والمأخذ الذي يكاد ينتسب الى الاعجاز يستوفى الابداع فى ذلك كله ببديهية ملاحظة للغايات البعيدة فى اللمحة السريعة القريبة فاليها يطمح الامل ، وبها الاعتماد وعليها المعول وهى :

أسرى وأسير فى الافاق من قمر ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وكانت لى بين يديه الكريمتين دول مأثورة له فيها حكم منثورة فانى كنت قارئى تلك الفصول وباريء تلك النصول ، والمعيد لما يبدي ، والسبب فيما يهدي من ذلك ويسدي فيسحرنى ويسبى الحاضرين حسن القاء وملاحة اشارة وايماء ، ونبل تنبيه ، ولطف توجيه ، واصابة تنظير ، واجادة تنقير ، وقلما ترى العين ، أو تسمع الاذن بئاصل فى الاصول ، وافرع فى الفروع ، وأبرع فى نقد الكلام وسبكه ، وأعرف بتآليف ابن الحاجب وفتح مغلقاته وحل مشكلاته منه رضى الله عنه قرأت عليه نفع الله به نحو النصف من كل واحد من تأليفى ابن الحاجب الفروعى والاصولى قراءة تفقه وبحث ، وسمعت عليه الكثير من التهذيب وغيره من كتب الفقه والاصول والعربية ، وقرأت وسمعت عليه كثيرا من تآليفه ومنها شرح مختصر ابن الحاجب الاصولى وشرح مختصره الفروعى ، وشرح المعالم الفقهية واختصار المتيطية واختصار التهذيب وشرح التهذيب فى مجلدات عديدة ، وشرح الحاصل ، وغير ذلك وسوغنى الرواية فى جميعها بالمناولة والاذن وأجازنى جميع ما يحمله

ويرويه وكتب لى الاجازة بخطه ومولده سنة ثمانين وستمائة ثم نضيف اليه ونعطف عليه من تبركت بالمثول بين يديه الشيخ الفقيه العدل أبا زكرياء يحيى بن الشيخ الفقيه العدل المرحوم أبى اسحاق ابراهيم ابن الشيخ الفقيه القاضى المرحوم أبى زكرياء يحيى بن يوسف بن ادريس الحسنى الشهير بالسلوي أبقى الله بركتهم بمنه ، شرف يا له من شرف ، وسلف كريم خلف ، أكرم خلف ، وبيت أصيل شمخ ، فى حرز منيع ، وعز مكتنف فطال بالعلياء شغفه وزاحم منكب الجوزاء شرفه . وشرف بقومه وشرف به قومه وزاد على أمسه فى الفضائل يومه ، نشأة صالحة وركب الى التقوى طريقا واضحة فاهتدى بسنن مبين واقتدى بسند متين وجمع له بين حسب وعلم ودين ، هذا الى أكرم النجار وعتق المنمى ، وطيب الارومة وشرف الخيم ، وطهارة البيت وزكاء العقب ، فما جملة الاعلام وحملة الاسياف والاقلام ، الا دون محله العالى ، وبمنزل من منزلته السامية ، فهو بحر حصاه الدر النفيس وروض يجنى منه أطاييب الثمر الجليس قد برز من التوفيق فى أحسن حلية وبرز فى التوثيق وكان عنه فى غنية ، الى وقار لا تحل حباه ، وصون لا يتسنم الدنس رباه وسؤدد على رغم من أباه . أشبه أباه فما ظلم ومن سعادة المرء أن يشبه أباه :

أشبا أباه فصار فى اعراقه ... متوغلا وجرى الى مضماره
فوفاؤه كوفائه وحياؤه ... كحيائه ووقاره كوقاره

رحل الى المشرق عام ثمانية وثمانين وستمائة فحج وزار ، وحط الذنوب والاوزار ، ولقى المشائخ فروى عن جلة ، وعاد فى كثرة من الفوائد وغيره فى قلة ، حضر تدريس الشيخ الامام قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد وأجازه ولقى الشيخ الامام الكبير قطب الدين القسطلانى وغيرهما من الائمة الكبار وحاملى الاثار ، ثم آب عن يسيرة

من السنين ، ورأى قرة العين فى النفس والمال والبنين ، قرأت عليه بمنزله المبارك من حضرة تونس المحروسة جميع كتاب موطأ الامام ابن أنس رضى الله عنه ، فكمل لى قرأت عليه باغظى فى أوائل شهر ربيع الاول المبارك من عام أربعين وسبعمائة وحدثنى به عن والده وعن الشيخ الامام المحدث أبى جعفر أحمد بن يوسف الفهري الشهير باللبلى قراءة منه عليه بجميعه واجازة من والده بسندهما فيه وجميع برنامج الامام أبى جعفر اللبلى موجود بيدي مصحح بخط يده رحمة الله عليه وقرأت عليه أيضا بمنزله المذكور ، جميع تخميس القصيدة النبوية الشرقراطسية (45) الشهيرة لمخمسها الامام القاضى أبى عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسى مع القصيدة المذكورة ، ولم يأت أحد لها بمثل فيما علمت ، وحدثنى به قراءة عليه عن والده المذكور ، ومن خطه البارع نقلته حدثه به عن مخمسها أبى عمرو عثمان بن عتيق المذكور قراءة عليه وقرأت وسمعت عليه غير ذلك وأجازنى وكتب لى بخطه ، ومولده فى أواسط عام خمس (46) وستمائة (ثم) نردفه برفيقه ومحل أخيه وشقيقه الشيخ الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الله بن الشيخ الفقيه الجليل أبى عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه القاضى العالم المصنف أبى

---

45) قصيدة من نظم عبد الله بن يحيى الشقراطسي منسوب الى شقراطس وهو حصن قديم قرب قفصة بتونس ولد بتوزر حج وحارب الصليبيين فى حدود مصر وتوفي سنة 466 له مجموعة قصائد واشهر انتاجه قصيدته فى مدح الرسول المسماة بالشقراطسية ، خمسها ابن الشاط والغزنوي وابن حبيش وشرحها ابن الشباط (618 — 681) وابن غازي ، وفى معالم الايمان لابن ناجي أن أبا الحق ابراهيم بن يوسف بن عبد الملك بن عوانة وضع تأليفا على الشقراطسية فى ثلاثة أجزاء كما شرحها ابن مرزوق (انظر رحلة التجاني ص 162) و (ترجمة ابن الشاط فى الاعلام) ، و (معالم الايمان، كتاب فضائل أهل المغرب) و (نفح الطيب الجزء الاول) .

46) يظهر انه سقط هنا عقد من عقود الاعداد . (وفى بعض النسخ خمسين)

القاسم بن على بن البر التنوخى (47) هذه بيتة غذيب بالعلم والادب ، وبنيت على المجد والحسب ورقيت (48) فى أعلا الخطط وأسمى الرتب ، فاليهم ينتهى فى حسن النقائب ، وبفواضلهم تنطق السنة الحقائب :

قطفوا ثمار المجد من غرس العلا ... بأكفهم فلنعم غرس الغارس

فهم لباب المجد عزة أنفس ... وذكاء الباب وطيب مغارس

ما منهم الا عالم أوحد ، لا ينعت ولا يحد ، ولهم بالدولة الحفصية سبق ذكر وحق لا ينكر ، والقاضى أبو القاسم جدهم ، به سفر مجدهم ، وهو الذي عمر ربع الملك وأمر بالحياة والهلك ، ودبج القرطاس وفوف ، ودون العلم وصنف ، وشيخنا الخطيب أبو محمد هذا بديع الاحسان بليغ القلم واللسان ، قد أتاه الله مقاليد هذا الشأن وملك بنان فضله أعنة المعانى ، وأزمة البيان ، وأقام من اليراعة على منابر أنامله اظهارا لمعجز البلاغة خطيبا مشقوق اللسان ، فهو ذو الفضل والكرم ، والسيف والقلم والعلم الذي يخفق لنشره العلم ، وتحلى المسامع بما تمنحه من لآلىء كلمه ، وتنتقل الى رياض الامال الظامية ما شهدته من دوام ديمه فلا برحت مكارم الاخلاق وأخلاق المكارم، تشام من برق شيمه وأحرار المحامد ومحامد الاحرار تعد امائه وخدمه ، بمن الله تعالى وفضله وكرمه ، لقيته بمنزله المبارك من حضرة تونس فقرأت وسمعت عليه به وبالجامع الاعظم المشهور بجامع الزيتونة تصانيف وأجزاء ، فانه لما خيرته المحاسن فى أنفسها ، فاختص بانفعها وأنفسها ، وحكمته السيادة فى معالمها ، فحكم من الاوامر والامور أعاليها ، كان مما أقام به من الدين متونه اقامة الفرائض المكتوبة اماما بجامع الزيتونة الى غير ذلك من الخطابة بالحضرة العلية ، والمراتب السامية السنية ، فكنت

---

47) ن 1 و 3 ابن البرا التنوخى

48) ن 2 و 3 ورتبت .

كثيرا ما أقرأ عليه بالدويرة التى يخرج منها الخطيب وهى بازاء المحراب، من جهة اليسار ، ومما قرأت عليه بها بلفظى جميع ثلاثيات الامام أبى عبد الله البخاري رضى الله عنه ، وحدثنى بها بسنده فى برنامج روايتى وجميع المجالس الخمسة التى أملاها الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد ابن أحمد السلفـى الاصبهانـى .

وحدثنى بها عن جده أبى القاسم المذكور اجازة قال قرأت جميعها على الشيخ الامام المحدث الزاهد أبى الفضل جعفر بن أبى الحسن الهمدانى بمسجده بالاسكندرية ، وحدثنى بها سماعا عن الحافظ ممليها أبى الطاهر السلفى المذكور وقرأت عليه جملة من برنامجه الذي جمع فيه أشياخه وأسانيده ، وتناولته من يده المباركة ، وأجازنى جميع مـا يحمله ويرويـه اجـازة تامة مطلقة عامة وكتب لى بخطه حدثنى رضى الله عنه قال : حدثنى جدي أبو القاسم المذكور ، قال انشدنى بالقدس الشريف عند محراب سيدنا زكرياء النبى عليه السلام الشيخ الصالـح أبو على حسن ابن أحمد الاوقى قال أنشدنا الفقيه الامام العالم أبو الجيوش عساكر بن على بن نصر المقري ، قال : أنشدنى الشيخ أبـو الحسين عبد الكريم (التككى) (49) قال : أنشدنى الصقلى بالاسكندرية مـن شعره لنفسـه :

مزرفـى (50) الصـدغ يسطـو لحظـه عبثـا
بالخلـق جـذلان أن يشكـو الهوى ضحكـا

لا تعبثن بـورد فـوق وجنتـه   فانمـا نصبتـه عينـه شركـا

وحدثنى أيضا قال وحدثنى جدي المذكور عنه عن الحافظ أبـى طاهر السلفى أنشدهم محمد بن على السجلماسى المجاور بمكة شرفها

---

49) فى الاصـل التكنفـى .
50) من زرفن شعره جعله كالزرافين وهى الحلق الصغيرة .

الله تعالى بدار العجلة قال : أنشدنى ابراهيم النحوي بسجلماسة لنفسه :

زعموا أن من تباعد يسلو ولقد زادنى التباعد وجدا
ان وجدي بكم وان طال عهدي وجد يعقوب حين أصبح فردا

وحدثنى قال وحدثنى جدي الشيخ المقري الصوفى الواعظ أبي عبد الله بن الجنان قال كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان فى رباط هنالك ، واجتمع أصحابنا ليلة فى سماع فلما كان فى أثناء ذلك بعد مضى جزء من الليل والوقت قد طاب اذ ضرب الباب ضارب فخرج اليه من سمع ذلك فوجد شيخا طويل القامة ، عظيم الهامة على رأسه كرزية وعليه فرجية وبيده ابريق وعكازة ، فقال ما هذا قلنا سماع اجتمع فيه الاصحاب فقال ندخل فدخل فوجد القائل يقول :

خليلى لا والله ما القلب سالم وان ظهرت منى شمائل صاح
والا فما بالى ولم أشهد الوغى أبيت كأنى مثخن بجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه ثم قال له قل فقال :

يا بانة الجزع لولا رنة الحادي لما تنقلت من واد الى وادي
ولا سألت بنعمان الاراك ولا شربت ماء به يا نهلة الصادي

وقال : كرر على حديثهم يا حادي فحديثهم يطفى لهيب فؤادي
كرر على حديثهم فلربما لان الحديد لضربة الحداد

فنزع فرجيته وبقى الشيخ عريانا وقال قل فقال :

غرام ووجد واشتياق ولوعة — وما ذاق انسان من الحب ما ذقت
نحلت فلو علقت فى جفن ذرة — لطارت ولم تشعر بأنى علقت
ولو نمت فى جفن الذباب معرضا — من السقم لم تشعر بأنى قد نمت
ولو نفس من أنفها قد أصابنى
من الشوق أو من حر أنفاسها ذبت (51)

قال الشيخ أبو عبد الله بن الجنان فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة قوية وخرجت روحه رحمة الله عليه ، ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وجهرناه الى حفرته ، وتركناه فى عظيم رتبته ، وحدثنى قال وحدثنى جدي عن الشيخ أبى الفضل الهمدانى عن الشيخ الشريف القاضى أبى محمد العثمانى قال أنشدنى الشيخ أبو بكر المبارك ابن كامل بمكة حرسها الله تعالى قال أنشدنى أحمد بن عبد السلام المدنى قال أنشدنى أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال : أنشدنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى :

قف بالديار فهذه آثارهم — تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم ذا وقفت بها أسائل مخبرا — عن أهلها أو صادقا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها — فارقت من تهوى فعز الملتقى

وليكن خاتم علماء الحضرة الافريقية وآخر المشائخ فى الحلبة المشرقية من ختمت بجده حلبة الرسالة والنبوءة ، وظهرت عليه بركة

---

51) زاد الناسخ ، 5 :

ولو وضعونى وسط حبة خردل — لبانت حوافيها جميعا وما بنت

السلالة الطاهرة والنبوة ، الشيخ الفقيه الراوية أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن ابراهيم بن يحيى ابن موسى بن هاشم بن مجير بن جواد بن أبى فليتة بن جواد بن محمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المومنين على بن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب طاهر ، ونسب ظاهر ووجه زاهر وفضل كامل باهر ، فهو فى الارومة السنية ، والدوحة الحسنية ، ولدته الرسالة . فيا شرف هذه الولادة وشهدت لجده أكبر السبطين بالسيادة وناهيك من منصب هذه الشهادة فلله دره من راضع در متواضع مع شرف الابوة أيسامى بشرف أو يدانى بمفخر ، من له هذا الشرف الاطهر ، أو يفاخر فى محضر ، من ينتمى الى السبط الاكبر بخ بخ هذا المجد الاظهر ، والسؤدد الاتلد الانور ..

نسب كأن عليه من شمس الضحى   نورا ومن فلق الصباح عمودا

كل خطة ، عند ذا الشرف محطة ، وكل مرتبة ، مع هذا الحسب مثلبة ، هذا الى ما له من البشر الرائق المحيا ، والنشر العاطر الريا ، والذات الفاضلة التى متعت بالدين والدنيا ، وقد زين الله له حسن الوجه والاخلاق ، وطيب المحتد والاعراق ، بكرم عظيم ، وفضل عميم وقلب شفيق رحيم ، فلا يزال فى مواساة وتفضل وايثار وتطول ، وترق الى المكرمات وتوصل ، مهر فى القراءات ، وتبحر فى الاسناد والروايات وأبدى فى ذلك الاعاجيب ، بل العجائب والايات ، فأخذ عن خلائق لا يحصرهم عدد وانفرد بما لم ينفرد به فى ذلك القطر أحد ، أفضل الفضلاء خلقا وأسمحهم نفسا ، وأحسنهم للاخوان مشاركة وأعظمهم للضعفاء مواساة وأكثرهم على عباد الله شفقة :

مناقب شمخت فى كل مكرمة   كأنما هى فى أنف العلى شمم

لقيته بحضرة تونس قبل توجهى الى الحجاز الشريف ، وبعد قفولى منه فقرأت عليه أولا القرآن العظيم ، ختمة كاملة بقراءة الامام أبى عبد الرحمن نافع المدنى جمعا بين روايتى ورش وقالون عنه وكتب لى بذلك بخط يده اجازة مؤرخة بتاريخ الخامس عشر لشوال سنة ست وثلاثين وسبعمائة وخط فيها مولده بتونس فى شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وحدثنى أنه قرأ بقراءة نافع ختمة كاملة جمعا على الشيخ الفقيه الحاج أبى التقى صالح بن الشيخ الفقيه أبى عبد الله محمد بن سليمان بن وليد الطرطوشى الاصل البلنسى المولد الانصاري النسب المشتهر بابن شوشن ، وأشهد له بذلك على نفسه فى أواسط شهر رمضان المعظم سنة ست وثمانين وستمائة ، قال : وأنا آخر من أخذ عنه هذه القراءة ، ولم يبق ببلد تونس ممن أخذها عنه غيري وحدثنى بهاعن جماعة من شيوخه أعلاهم طريقا الامام المقريء القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبى قراءة عليه بحرف نافع عن أبى الحسن على بن محمد بن على بن هذيل وأبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد الدانى قراءة عليهما ، قالا : قرأنا على الامام أبى داود سليمان بن نجاح عن أبى عمرو الدانى بسنده ، وقرأ أيضا شيخى هذا بالقراءات السبع على غيره ، وقرأت عليه أيضا جميع كتاب التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى رحمه الله تعالى . وحدثنى عن قاضى القضاة أبى العباس أحمد بن محمد الغماز قراءة منه عليه بجميعه حدثه به عن الفقيه الراوية أبى الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن سلمون البلنسى سماعا عليه عن عن أبى الحسين بن هذيل عن أبى داود سليمان بن نجاح عن مؤلفه أبى عمرو الدانى سماعا متصلا ، وحدثنى به أيضا عن الاستاذ المقرىء أبى العباس البطرانى قراءة منه عليه بسنده فيه ، وقرأت عليه ثانيا جميع كتاب موطأ الامام مالك بن انس رضى الله عنه وحدثنى به قراءة وسماعا عن جماعة أعلاهم طريقا الشيخ الراوية المسن أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائى قرأ عليه بلفظه جميعه وسمع

كثيرا منه عليه وقد تقدم سنده فيه ، وقرأ جميعه أيضا على أبى يعقوب يوسف بن ابراهيم بن أحمد بن عقاب الجذامى ، وحدثه به عن القاضى أبى الحسن على بن عبد الله بن قطرال الانصاري قراءة لبعضه وسماعا لسائره عن أبى محمد عبد الحق بن عبد الملك بن بونة العبدري قراءة عليه قال : سمعته على أبى عمر أبى بحر سفيان بن العاص الاسدي قال سمعته على أبى عمر بن عبد البر قال سمعته من أبى عثمان سعيد ابن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد ابن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك قال أبو الحسن بن قطرال : وأحمله عن الحافظ ابى عبد الله محمد ابن سعيد بن زرقون الانصاري سماعا عليه لابواب منه واجازة لسائره عن أبى عبد الله أحمد بن محمد الخولانى اجازة عن أبى عمرون عثمان ابن أحمد بن محمد بن يوسف اللخمى القيجطيلى سماعا عليه عن أبى عيسى يحيى ابن عبد الله بن يحيى بن يحيى عن عم أبيه أبى مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك ، قال أبو الحسن بن قطرال فى برنامجه وهذا السند أعلى الاسانيد المعروفة بالاندلس ، وقرأت عليه أيضا جميع كتاب الشهاب للقاضى رحمه الله تعالى ، وحدثنى به عن قاضى القضاة أبى العباس ابن الغماز قراءة عليه ثم سماعا عليه أيضا حدثه به عن الخطيب أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الله بن خيرة البلنسى سماعا عليه عن أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم عبد الرحمن بن الحضرمى سماعا عليه عن أبى عبد الله محمد بن أبى العباس الرازي سماعا عليه عن مؤلفه سماعا عليه ، وقرأت أيضا على غيره وقرأت عليه جميع القصيدة اللامية الشاطبية فى القراءات السبع، وهى المسمات بحرز الامانى وحدثنى أنه عرضها من حفظه فى مجلس واحد على الاستاذ أبى العباس البطرينى بعدما سمع جميعها عليه ، وحدثه بها عن جماعة من شيوخه ، وقد استوفيت ذكرهم فى برنامج روايتى ، وحدثنى أنه عرضها أيضا على الامام أبى جعفر اللبلى فى مجلس قال سمعتها بمصر المحروسة على الشيخ الامام كمال الدين أبى الحسن بن على بن شجاع

العباسى ، قال سمعتها وقرأتها على ناظمها ، وقد كمل لى عليه ما بين قراءة وسماع فى المرة الاولى وفى الثانية من الكتب والاجزاء نحـو السبعين تأليفا انتقيتها من مسموعاته واخترتها من عوالى مروياتـه ولخصت أسانيدها فى برنامجه ومسنداته الى غير ذلك من غرر الفوائد ودرر الاناشد ، ومما انتخبت هنا منها ما أنشدنيه بمنزله من الحضرة التونسية قال : أنشدنى الشيخ الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سعود العبدري الحاحى لنفسه وذلك فى رجب الفرد سنة تسعين وستمائة معارضا لابيات القاضى أبى الفضل عياض التى فى كتاب الشفاء لـه :

يا ساكنى دار الحبيب عليكم منى سلام طيب النفحات
يهنيكم قرب الاحبة فارحموا صبابكم قد صد بالنـزلات
كم ذا أعلل بالوصول اليكم قلبا شجيا مضرم الجنبات
قد نلتم قرب الحبيب فانتم ابدا لذلك طيبو الاوقات
ان كنتم أهل اليسار فاننى أرجو نماء بضاعتى المزجاة
حسبى فخارا ان مصباح الهوى من قلبى المفئود فى مشكاة
فلأنثرن على ثرى أثاره من عقد جفنى لؤلؤ العبرات
حتى أروي القلب من ظمأ به قاسيته فى البعد طول حياتى
واعفر الخد المصون بتربة تزرى بعرف المسك فى النشقات
بدر الدجا بحر الندا فخر الورى وملاذهم فى عرصة الحسرات
مالى سواه من المخاوف ملجأ أرجو خلاصى عنده ونجاة
صلى الالاه وخلقه طرا على من فاح منه معطر الروضات
يندى وينفح بالعبير نسيمه ما شق نجم حالك الظلمات

وأنشدنى أيضا قال : أنشدنى الشيخ الفقيه الفاضل أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن خلف الغافقى القبتوري قال : أنشدنى نجم الدين بن مهذب الدين :

دمعى المنهل بعدكم من عينى ما فيه لاجل بعدكم من عين
ما أغزره كأنه من عينى بالعين أصبت يا لها من عين

وأنشدنى أيضا قال : أنشدنى الشيخ أبو القاسم المذكور :

من بلل شعر قاتلى من سلسل من أودع ريقه رحيقا سلسل
من غللنى بحبه من سلسل يا عادل ان جهلت ما بى سل سل

وأنشدنى أيضا :

الورد من وجنتيك زاه زاهر والسحر من مقلتيك واق وافر
وللعاشق فى هواك ساه ساهر يرجو ويخاف وهو شاك شاكر

ثم توفى شخينا الامام الرئيس أديب الجماعة وجامع الاداب وكاتب العلماء وعالم الكتاب . أبو عبد الله ابن عمر المذكور (1) قتل رحمه الله تعالى فى غرة المحرم مفتتح عام أربعين وسبعمائة اثر وصولى واستقلالى فى تلك الحضرة وحصولى ، فتعطل بعد حليه ذلك الديوان .

---

52) ولد أبو عبد محمد بن عمر النهري بمدينة سبتة سنة 657 ودرس بها ثم حج الى بيت الله الحرام وهو ابن السادسة والعشرين مع الاديب الكاتب ابى عبد الله محمد بن حكم الرندي ثم رجع الى الاندلس ومنها الى المغرب حيث توفي به سنة 721 وهو غير التاريخ الذي يذكره البلوي .

وأرجف بأن ليس له غير فلان ، فاستبعدت الامر لما بيننا من بعد البون ، والارجاف مقدمة الكون ، فما راعانى الارسل أمير المومنين الى واقبال الدولة الحفصية مع اعراضى على ، وولايتى خطة الانشاء ومثول الكتاب بين يدي ، فهناك كم صارفة صرفت ، وعاربة عربت وعقيلة عقلت ، وكلمة رمقت فومقت ومقلت فنقلت وكم مطايا ركبت وعطايا سكبت . وكسا كسيت وكتبت ، فيا لك من أيام غرر جلت غسقا . وتوالت نسقا . كم بثت من ذكر عطر ، وأخلصت من ثناء ثمين وأحيت من أمل دفين ، وما برحت أتفيأ ظلال الخلافة العلية ، التى أقامها الله تعالى ميزانا للحق ، وظلا على الخلق ، فالتأم بها الصدع . واجتمع الامان ، وأمن الجمع ،وكفت نوب الزمان ، وحسمت بحدها وجدها أدواء البغى والعدوان ، واعتز بها الاسلام . وافتر بها الدهر عن ثغر بسام . وانعقد على فضلها الاجماع . واستقرت بيدها قناة الدين يحملها الامر المطاع ، خلافة مولانا أمير المومنين وناصر الدنيا والدين الهمام المرتضى، والحسام المنتضى. حسنة الايام، وقرة عين المسلمين والاسلام. غمام الندى الهاطل . وحمام العداء العاجل . ناظم شمل الفريق والفارج لباب الازمة والضيق . جامع اشتات المعالى . ومحرز شروط الكمال ، فلم يك يصلح الالهالامر العالى السلطان الملك المؤيد. المنصور المظفر الامجد الاسعد الاوحد العالم العادل، الفاضل الكامل. أبو يحيى أبو بكر بن أمير المومنين أبى زكرياء بن أمير المومنين أبى اسحاق بن أمير المومنين أبى زكرياء ابن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص :

هلال لياليها وانسان عينها ... وبدر دياجيها وشمس ضحاها

مؤيدها منصورها وجوادها ... وجامع شملى مجدها وعلاها

أدام الله بهجة الدنيا ببهجة سلطانه ووالى تمهيد ربوعه وتشييد أوطانه وضاعف التأييد ، والسعد الجديد فى أمره وشأنه ، وشكر عن

الاسلام وأهله عميم طوله وامتنانه . ولا زالت حوزة السمحة البيضاء مكنوفة برايته الحمراء وكتيبته الخضراء . ما نفح احسانه بالصفراء ، ودمث عدله جوانب الغبراء :

هذا دعاء تسبق الدنيا اذا سمعته مسرعة الى التأمين

فانه من كان أنور من الشمس ضياء ، وأكمل من البدر بهاء ، وأندى من الغيث كفا . وأحمى من الليث أنفا ، وأسخى من البحر بنانا . وأمضى من النصل لسانا . وأوسع من الدهر صدرا . وأرفع من النجم قدرا ، يقر الملك . ويذل الشرك ، ويرفع علم الحق . ويبسط العدل بين الخلق فهم يحتلون منه بدر الحلك ، وقطب الفلك ، ويشاهدون من جلاله ، وباهر كماله الطلعة الانيسة فى صورة الملك ، وقد احتوى القصر المبارك منه على أسد ورد أو ملك جعد ، مخلف أيعاد ومنجز وعد :

ذو عزمة كالتماع البرق واقدة تجىء من نصره بالعارض الهطل

لولا السعود التى نيطت بهمته لكنت أنسبها بعدا الى زحل

فانتهى من اشاعة الفضل ، وبسط العدل ، وبذل الصفح الى الحد الذي فات الكمال دفعة واستوفى الخصال جملة ، حتى كان ملك الدولة فى اسعاد مدتها واحتشاد مواد النعم عندها ، وارتفاع حوادث الغير عنها ، نذر للدهر قضاه أو أسبوع لعرسه وفاه ، اشراق أيام وليال ، فى قضاء أو طار وآمال ، فى كنف ملك مقتبل السعد ميمون الطائر ، غافل عن الايام ، مظاهر للانعام ، مسرور بما تنافس فيه رعيته ، من زخرف دنياها ، مقتصر لها من ذلك كله ما جانبها وعطاها آخذ عفوها ، قابل يسرها ، فلا أمير بعد أبى يحيى ولا خليفة بعد

أبى بكر تبنكا (1) فى المجد ، وانغماسا فى النعم ، اجتمع الناس على حبه ، ولم يدهنوا فى طاعته فصفا عيشه ، واستراح قلبه ، وكان من فرط الشجاعة فى غاية بعيدة أحد العجائب ذكاء لب ، وصرامة قلب ، وتقدما الى حرب عظيم الاناة ، رفيع الهمة ، على أخلاق حميدة ، ومكارم جميلة ، ذكيا يقظا ، أديبا لبيبا . حسن الكلام ، جيد القريحة . مليح البلاغة ، يتصرف فيما يشاء من الخطابة ، بديهة وروية ويصوغ قطعا من الشعر مستجادة وقصائد طويلة ، فى فنون كثيرة ، لم يقصر فيها عن الغاية فطمحت اليه النفوس ، وتعلقت به القلوب ، ونزحت نحوه الهمم وقصده الخلق من المغرب والمشرق ، لسعة احسانه ، وعظيم تطوله ، ووفور عطائه لمن نئا عنه وقرب منه ، فهو فى وقته نسيج وحده . به ختمت فضلاء أهل بيته فلم يعهد فيهم مثله ، ولقد انشدته رضى الله عنه قصيدة لامية بعد أخرى زائية ، كلتاهما من نظمى فى مدحه ، فلما فرغت منهما قبلت يده وانصرفت الى منزلى فما وصلت حتى وصل من نعمه ، أرضاه الله ، من الملابس الحسان والمواهب والاحسان ، ما أوجب الشكر بكل لسان ، واغنانى مدة عن شكوى الزمان وكذلك أنشدته رضى الله عنه من نظمى أيضا جملة قصائد ، فى روى واحد على نحو ما كان ألقى الى واقترح على ، فلما فرغت قال لى : قد أتيت بكل جميل ، ونفع فيك ماء زمزم ، وماء النيل ، ثم أومأ بحاجبه الى الحاجب ، وأمر باضافة الاحسان ، وتنمية الراتب ، فقبلت ما أمر به ، وقبلت الارض بين يديه ، وقمت أشكر نعمه ، وأقمت أنشر الثناء عليه ، وما برح قلمى يجول فى اقليمه وكلمى يجود بدره بين محاورته وتكليمه ، وأنا أريش وأبري ، وأقيم وأقعد بنهيى وأمري وأدير المملكة بهزازي نظمى ونثري ، حتى عبق الشكر ، وطبق الذكر ، وكمل لى تصنيف لذة السمع والفكر ، فيما أنشأته عن أمير المومنين أبى بكر ، وهو أدام الله أيامه ، وشكر فى الخافقين الويته واعلامه يعتمد على قلمى ويعتضد

---

53) التبنك .. التمكن من تبنك فى عـزه اي تمكن .

بكلمى وينجد كتيبته بكتابتى ، ويسعد رعيته برعايتى ، ويعد غرائبى من رغائبه ، ومناقبى من مناقبه ، حتى طمى الايغـال ، فى الاشتغـال ، وآل الاكرام الى الابرام وعاد الجنى الى العنى ، فرمقت الدنيا بالعين الزاهدة ، وآثرت القفول الى الوالدة ، وسئمت من النوى والشتات وأزعجنـى الجنـة تحت أقدام الامهات . وهمت بالوطن ، هيام ابـن طالب بالحوض والعطن وحننت الى تلك البقاع حنينه الـى اثلاث القاع وكلما أخذت فى الازماع صرفت عن تلك الاطماع ، حتى فجئت بالوداع. وعزمت عزما اذن للدموع بالانسكاب وللقلوب بالانصداع وقد تهجر نفائس الاعلاق ، وتبلى المليحة بالطلاق وحين علم منى أيده اللـه خلوص النية وتداركى هذا الفرض المتعين قبل اخترام المنية ، سلم لى فى الوفاء بهذا النذر ، ولم يكن ليقبل منى غير ذلك العذر ؛ فأكببت علـى تقبيل يده متودعا ، وأنشدته متفجعا لفراقه متوجعا :

وداع كما ودعت فصـل ربيعـى ... يغض ضلوعى أو يفيض دموعـى
لئن قيل فى بعض يفارق بعضـه ... فانى قد فارقت منـك جميعـى

فأوسعت ملء عيابى حباء وأصبحت مركوبا وجنيبة (1) وخبـاء ، وأمطيت صهوة طرف من عتاق الخيل . رائع رائق ، قيد الاوابد ، مما أنجب الوجيه ولاحق ، أشهب كالصباح يسابق الطرف ، ويباري الرياح . ويمرح ما بين اختيال وارتياح . وارتجاج وارتباح :

يستوقف اللحظـات فى خطـوات ... بكمـال خلقـه ورقـة حسنـه
ذو نخوة شمخت بـه عن نـده ... وشهامة طمحت به عن قرنـه

---

54) الدابة تقودها الى جنبـك

وجعلت أخب وأخد ولا ألوي على من أجد ، وكلما لاح بـارق ، ارتحت اليه ، أو در شارق سلمت من البعد عليه ، اذا بدت النجـوم توهمت همه ، وان هطلت الغيوم تذكرت نعمه ، لا أسمع الغريبة ، الا قلت من كلماته ، ولا أرى العجيبة الا قلت من فعلاته ، أحل الرياض فأحسبها شمائله ، وأرد البحار فأظنها نوافله :

وما شبهوا بالبحر كفيه فى الندى   ولكنها احـدى أناملـه العشـر
يدان اذا أومى بها اشتاق صارم   وحن بسنان وانبرى مأرب يجري
أمنت بهـا من كل شـر أخافـه   من الدهر حتى نمت فى مقلة الدهر

وخرجت من تونس المحروسة عند طلوع الشمس يوم الخميس السادس عشر لشهر رمضان عن عام أربعين المذكور ، ودخلت مدينـة (بـاجـة) المحروسة فى عشى يوم الجمعة السابع عشر من الشهر المعظم المذكور ، وخرجت منها فى صبيحة يوم الاحد التاسع عشر من الشهر المذكور ودخلت مدينة (العناب) فى ضحوة يوم الخميس الثالث والعشرين منه ، وخرجت منه فى يوم الجمعة الرابع والعشرين ودخلت (قسنطينة) فى عشى يوم الاحد السـادس والعشريـن من رمضـان المعظم المذكور ، فنزلت بمنزل صاحبنا الفقيه الجليل الكاتب البـارع الناظم الناثر الماجد الاكمل أبى اسحاق ابراهيم بن الوزير الكبيـر الحسيب الاصيل أبى محمد عبد الله بن الحاج النميري الغرناطى ، ذو المعالى العلية ، والفنون العلمية ، والحكم الادبية والآداب الحكميـة والكرم المفضل والفضائل الكريمة والبلاغة التى لها على البلغاء مزيـة المزيد ، ومزيد المزية ، مع الحسب الاصيل . والكفاية فى طلب العلـم والتحصيل والمعارف التى بها جيد الزمان حال على الجملة والتفصيل شهادة قبل أداؤها من كل نفر ، ويثبتها قول الفاروق رضى الله عنـه الذي زكى عنده رجلين ، أكنت معهما فى سفر ، فهو صديقى المحق ،

ورفيقى المرفق ، ومعاشري ذاهبا وآئبا فى بلاد المشرق ، فتهادينا تحية الاصدقاء وتنادمنا بحديث ذلك السفر وأولئك الرفقاء ولا تسئل عن حسن هذا الاجتماع وأنس هذا اللقاء :

حديث تخال الروح عند سماعـــه لمـا هز من أعطافـه تتقصــف

ونما الخبر الى حفيد مولانا السلطان الاجل الاسنى الاسمـى الاكمل ، أبى زيد عبد الرحمن بن السلطان الاجل الهمـام الاوحـد المرحوم أبى عبد الله محمد بن مولانا أمير المومنين ابن يحيى أبـى بكر أيد الله سلطانهم ومهد أوطانهم وهذا الصاحب الفاضل هو كاتبه الذي تحلى بكتابته ملكه ، وانتظم بدرر نظمه ونثره سلكه وملكه أبوه رحمه الله المماليك والاملاك ، فحصل له ملكه فرأى أيده الله أن ينوه بجانبى وان لا يترك حظه من اكرامى لصاحبى وأمر بتجهيز منزل حافل وانتقالى اليه . واجراء كل ما احتاجه ويحتوي المنزل عليه ، وأقمت أتطرق عوارف اياديه واحل كل يوم بناديه ، وصاحبى يعرفنى بمـا يجتنيه . من أنعامه ويجتبيه ، ويطرفنى بغرائبه وغرائب أبيه ومنهـا ما أنشدنيه قال أنشدنى لنفسه الساطان ، الاجل الفاضل الكامل ، ولى عهد أمير المومنين قرة عين أبيه وأعين المسلمين أبو عبد الله ممحد بن مولانا أمير المومنين أبى يحيى أبى بكر رضى عنهم أجمعين :

نكون ملوك الارض ذاتـا ومنصبا وأرثـا عن الفاروق وهو عظيـم
وتملكنـا هيفاء خـود غزالــة مريضـة طـرف ان ذا لعظيـم

وما أنسى لا أنسى خروج هذا النجل السعيد ، الى المصلى صبيحة ذلك العيد الذي كان وجهه فى عيد ، فى مركب نبيل من وجوه عبيد ، متنافس فى فخورة الملابس محففين من أداة الفوارس ، يحفونه حف النجوم بالقمر الاضحيان ، وقد ركب بين يديه صنوف من العبيد ، وألوف من أبطال الجنود ، تضيق بهم الفجاج ، وتزخر فى بحر الحديد منهـم

الامواج ، وقد أشرق ذلك اليوم باشراق غرته ، وتبلج صباحه من تبلج أسرته ، ولاح الصبحان فكان الفضل لنور جبينه ، وغسق طرته ، فبهر كماله وتجملت حاله ، ورزق من أعين الناس قبولا ، واستبانـوا منه على علو صيته ذكاء وتهذبا ، فى شخص حسن الخلق ، ساجى الطرف ، لين العطف ، يقظ الحس ، تشهد مخايله بما تحتها من ذكاء وفطنــة ، تحمل من نتائجها ، من لدن صباه ، نوادر شاهدة بنهاه ، وقـد كــان الناس انتشروا حفافى طريق السلطان مستبقين الى لقائه ، يسبــق راكبهم راجلهم ، الى أن أقبل فى كتائبه ، معبأة يروق منظرها وهــم يستقدمون الى المركب الذي هو فيه فوجا بعد فوج ، ركبانا ورجالا ، وقد وكل طرفه بملاحظتهم ، وسمعه باسماعهم ، فقسم بين وجوههم من امساك عنانه وطلاقة وجهه بل بشره وجميل رده ما ملأهم مسرة ، وبجلهم مبرة ، ولم يسئموا من مسايرة كوكبه ، وتكرير معاينتــه ، واعلان الدعاء له ونشر الثناء عليه ، الى أن نزل منزله من المصلى ، وذلك القطر قد راق محضره ، واجتمع باديته وحضره ، وأبدع فى الجمال مرءاه ومنظره ، والنهر قد تدفق ماؤه ، والزهر قد مدت ملاؤه ، والربيع قد بدت كبرياؤه وخيلاؤه ، والجميع قد جمعتهم آلاء الله ونعمـاؤه ، وشهدت بصدقهم الى يومهم أرضه وسماؤه ، فقضيت الصلاة والخطبة وحانت الوقفة للبيعة والوثبة ، وضربت الطبول فمادت الارض لرعودها وقفلت الجنود ، فرجفت الجبال لحدورها وصعودها ، وقيدت الجنائب من كرام خيول القادة ، وقالوا جميعا على اليمن والسعادة ، وأقبل السلطان وقد اجتلوا من غرته السعيدة البدر فى الكمال ، وعاينوا مــن هيبته فى حال بنوته ليثـا أبـا الاشبـال :

أرق مــن الماء الذي فى حسامــه   طباعا وأمضى من شباه وأنجـد

لــه ســورة مكتنة فى سكينــه   كما أكتن فى الغمد الجراز المهند(1)

---

55) الجراز كغـراب السيف القاطع وذو الجيـران سيف ورقـــاء بن زهر .

ونهض والعيون اليه رامقة ، والقلوب له وامقة ، وعذبات الالوية على عذباته خافقة ، وكل علم منها بيد علم ، ومن أشبه أباه فما ظلم ، وصار الركاب الميمون ، والنصر يقدمه والاقدار تسعده والسعود تخدمه :

بعسكر تشرق الارض الفضاء به كالليل أنجمه القضبان والاسل

لا يمكن الارض منه أن يحيط به ما يأخذ السهل من عرضيه والجبل

وكان عيدا سعيدا ، مبديا فى الجمال والاجمال معيدا ، لم نزل نميس فى جديد خلعه ونتأنس بحسن منزعه ونتبهنس (56) بين مرتع ذلك القطر ومربعه ، وركب السلطان اثر صلاة العصر ثانى يوم عيد الفطر فى جيشه اللهام ، ذي العدد القمقام ، فركبت أنا وصاحبى فى موكبه ، وركنت الى جميل مواخاته ، وكريم مذهبه ، وسرنا وسار الركاب السعيد يحمل جواده الكريم عن المقام الكريم ، طود حلم واسجاح ، وليث بسالة وكفاح ، وبحر جود وسماح ، وبدر دجنة تسربل ثوب صباح ، رأيه الرشيد وعزمه المنصور وسيفه السفاح :

كأن الله خيره فسوى خلائقه الحسان كما اشتهاها

فبرز الى الميدان على تعبية رائعة رائقة فى اعداد تكاثر الحصا فائقة من جرد مسومة ، قب مطهمة ، قد صففت على مخائل سبقها ورتبت على منازل عتقها من كل أشهب بالمصباح مجلل ، وأدهم بالظلام مسربل وأصفر كسى قميص ورس وأشقر خلع عليه رداء شمس واشعل ، مزج ماؤه بناره وأبلق خلط ليله بنهاره :

---

56) نتبهنس : نتبختر .

خيل مسومــة غــر محجلــة من اللواتى تفوت الوهـم والنظرا
كانما هــى فى المضمار جائلـــة ريح الصبا قابلت من ريحه المطرا

* * *

وفرسانها ممسكة بالاعنة وقائمة فى سروجها كالاسنة قد اعتقلوا عوالى المران ، وتقلدوا من المرهفات كل هندوانى ، من الهند غيروان ، وتنكبوا ن محنيات القسى أهلة لا تغضى الى المحاق ، ولا تنى رجــوم سمائها عن شياطين المراق ، بالاحراق ، واستلئموا اليلب الحسان ، والجحف التى سوغها الانعام والاحسان ، ما شئت من تراس تـــروق عيونا ، وتفوق أنواعا وفنونا ، ودرق ينفرد الكمى بها كمينا ، وتقيه الحتوف حصنا حصينا ويقدم بها على مقارعة الابطال واقتحام الاهوال فتبدي النصر مكينا ، وتدنى من عقائل المعاقل الفتح مبينا ، وتسربلوا من الزرد المضاعف نسجه سرابيل . وطاروا فى ذلك الميــدان عقبانـــا كواسر وطيرا أبابيـــل :

جباهها فغــدت آثارهــا غررا مخافــة أن تبدده العيـــــون
يسيل على البسيطة منــه سيــل عبابــاه الحــوادث والسنـــون
بــه خدع المنى ورقى المنايــا وصرف الدهر يخشــى أوينـــين
ومــا تدعو الرياح ومــا تلبــى ومــا تخفــى الصدور أو تبين
وما نمت المهارى أو المهاري (58) وما احتبت القيول أو الفيـــون
سماء علا تلــوح بها العوالـــى نجومــا نوءهــا الحــرب الزبون
وقد هبت عتاق الخيــل فيهـــا عواصــف لا يتاح لــه سكــون

---

57) اليلــب : الدروع اليمانيــة .
58) الاول نسبة الى المهر (ولد الفرس) والثانية منسوبة الى مهرة بن حيدان التى لا يعدل بها شىء فى سرعة سيرها .

وجال السلطان المؤيد فى ميدان أشب الجوانب منسرب المذانب قد اخترقت الجداول ساحاته ، ودبجت الازاهر مساحاته ، وأدواحه تنعطف فى أكف الرياح ، وتكاد تتقصف من الارتياح . قد نشرت ورقها نشر ذوائب الحسان وزهرت لمتأملها كأنها زهرة نيسان . فى أرض تروق ، وروض كانما خلع عليه الشروق :

وكأن نرجسه المضاعف خائض فى الماء لف ثيابه فى رأسه

فلم أر مثله ميدانا حوي كل الفخر ما بين روض يانع :

وواد حكى الخنساء لا فى شجونها ولكن له عينان تجري على صخر

وجال بين يديه من انجاد الامجاد ، وحماة الكماة أسود على عقبان ، وجنود كأنهم الكثبان قد أخذوا أرجاء الميدان وجوانبه ، وملأوا مشارقه ومغاربه ، وهم يسمون صحفات صفحات البسيطة بحوافر الخيل ويثيرون قتاما كقطع الليل والاسنة تبدو كأنجم سماء والسيوف تلوح كأنها جداول ماء ، والقنا تخطر كأنها بروق خواطف ، وجياد يصم منها الصهيل كأنها رعود قواصف ، والكتيبة قد كتبت المنايا اليها كتبا تقع عليها وتسقط والبيض تشكلها والاسنة تنقط :

والسيف دامى المضربين كجدول فى ضفتيه شقائق النعمان

فغدا حماها وهو مباح ، وأرواح فوارسها تكاد تستباح ، والانابيب تتخلل كأنها الارماح والظهور توسم ، والوجوه قد اثخنتها الجراح ، ووجهه الصبيح والشمس قد أومضا ايماضا وأفاض من سناهما أغاضا . وأعلام الدولة قد حفوا بلوائه . وتألقوا فى سمائه . كأنهم النجوم اشراقا . والدر انتظاما واتساقا ، ولما فنى اليوم أوهم . وكاد وجه

النهار أن يدلهم ، انعطفنا للرجوع فى صهوات الجهاد . وانصرفنا نميس طربا كالغصن المياد ، وسرنا ويمن الملك الاجل يهدينا . ونوره يسعى بين أيدينا . فلا زالت دولة مولانا أمير المومنين أيده الله بمثله من أوليائه المستظلين بظل أفيائها ، محمية الاقطار مقضية الاوطار ، تتوالى عليها الاعياد توالى العهاد على الروض . والوارد على الحوض ، ولا زال أمرها المطاع وجدها الصاعد وعزها الاقعس ، وراياتها الظاهرة وحزبها الغالب وأيامها السعيدة ولياليها البيض وعبيدها الاحرار وغنائمها الدول ، ونوالها السفاح ولواؤها المنصور ومنارها الهادي ، ورأيها الرشيد ، وغيبها الامين ، وسطوها المامون وجارها المعتصم ، ومؤملها الواثق ، وخادمها الموفق ، وهنا الله مولانا عيدا ، هو عبده وموسما زانته سيماه ، وفطرا بكرمه كرمت فطرته ، ولقاه الروح والريحان عن قيامه ، كما اختصه بأجور من فطر من الصائمين :

آمين آمين لا ارضى بواحدة   حتى أضيف اليها ألف آمينا

وما برحت مع صاحبى الفاضل ألقى من فوائده انتفاعا ، وأرى من أخلاقه انطباعا واجد من أكنافه رحبا واتساعا . وأرد من موارد كرمه مناهل أشيم برق الجنى من سحائبها لماعا ، وهو وان كان امامى الذي به اقتديت فقد روى عنى كما عنه رويت فانه لم يمهلنى سوى ريثما نزلت عن ظهر الجواد ، حتى طلبنى بما حصلت بعده من الفوائد والاناشيد فى تلك البلاد ، فأرسلت عليه سيلا عرما من الانشاد ، وهمت معه من الادب فى كل واد، فكان مما أطربه من ذلك وأعجبه ولم يلبث ان قيده ساعته تلك وكتبه من فلق فيه ، وبديع قوافيهشيخنا الامام عز الدين أبو اسحاق بن حباسة المتقدم الذكر لشهاب الدين التلعفري مقدم شعراء الناصر وذلك قوله :

---

59) الاقعس الثابت

أي دمـع من الجفون أسالــه اذ أتتــه مع النسيم رسالــة
حملتـه الريـاح أنفـس عطـر أودعتهـا السحائـب الهطالـة
مـر فيـه والزهر زاه فأضحـى ناشـرا فـوق نـوره اذيالـه
نشر القلب نشـره مـن غـرام بـات فيـه مكابـدا بلبالـه
عذبتـه مـن قلبـه عذبـات وفـروع على اللـوى ميالـه
يا خليلـى وللخليـل حقـوق واجبات الاحـوال فى كـل حاله
سل عقيق الحمـا وقل اذ تـراه خاليـا مـن ظبائـه المختالـة
أين تلك المراشـف العسليـا ت وتلك المعاطـف العسالـة
وليـال قضيتهـا كلئـال بغـزال تغار منـه الغزالـة
بابلى الالحاظ والرمق (60) والالفا ظ ، كـل مـدامـة سلسالـه
ونقـى الجبـين والخد والثغـر فطوبـى لمن حسا جريا له (61)
وسقيم الجفون والعهد والخصر وكـل أراه يشكـو اعتلالـه
وطويل الصدود والشعر والمطل فمـن لى بان يديـم مطالـه
مـا كسانى ثوب السقام دقيـق النسـج الا جفونـه الغزالـة
واعذابى بعـذب تلـك الثنايـا واغليلـى بما حوتـه الغلالـة
من بنى الترك كلما جذب القوس رأينا فى قوسـه بـدر هالـة
يقع السهم حين يرمى فمـا تدرى يـداه أم عينـه النبالـة
قلت لما استباح ديـن وصالـى وهـو مثر وقادر لا محالـة

60) ن 3 اللحاظ والرقـى .

61) الجريـال : الخمـر .

بيننا الشرع قال سربى فعندي　　من جمالى لكل دعوى دلالة
وشهودي من خال خدي وقدي　　نى شهود معروفة بالعدالة
أنا وكلت مقلتى بدم الخلق　　فقالت قبلت هذى الوكالة

وقوله :

تولهى بك شىء عنك غير خفى　　فراقب الله فى الهجران لى وخف
واعدل عن الظلم واعدل فى النفوس ولا
تجر على المستهام المغرم الدنف
يا راميا اسهما من لحظ ناظره　　فوق فغير فؤادي ليس من هدف
سبحان معطيك خصرا غير مختصر　　من العذاب وعطفا غير منعطف
اذا شكوت لترثى لى وترحم ما　　ألقاه من وجدي المضنى ومن كلف
يردنى آيسا من ذاك عارضك اللا　　مى والمنثنى من قدك الالف

وأنشدته مقطوعات كثيرة فكان مما أعجبه منها قول بعض المشارقة :

بهت العذول وقد رأى الحاظها　　تركية تذر الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى　　هذى مضائق لست ادخل فيها

وقول بعضهم :

همت فى حبها وهامت بهجري　　انصفتنا فكلنا مستهام
وادعت ان فى فؤادي هواها　　صدقت فيه لوعة وغرام

وقول أبى الحسن على بن طاهر بن مفـوز (62) :

أعرضت حين أبصرت شعـرات فى عـــذاري كأنهـن الثغـــام
قلت هذا تبسـم الزهـر قالـت قد سعى فى صدودك الابتســام

ورايته معجبا بالرباعيات المشهورة بالدوبيتين ، وهى التى أولع المشارقة بها . فجلت معه فى هذا الميدان مجالا ، وقلت وخير الشعر أشرفه رجالا ، وكان مما أنشدته منها قول الملك المعز ، بن طغدكين أيـوب صاحب اليمن :

قـم نشربها سلافـة كالذهـب من قبل حلول عائـق أو سبـب
لما برزت ولـم تزل فى حجـب من خجلتها تبـرقعت بالحجـب

وقـول الشهاب التلعفري المذكـور :

قالت : وقد انتضت سيوف اللحظ والسحر ممازح لذاك اللفـــظ
ذا حظك ما أقلـه قلـت لهـــا لو شئت لما كنـت قليـل الحظ

وقول الملك الامجد ابن أيوب صاحب بعلبك :

كـــم حلفـت بكـــل أم وأب أن تسمـح لى فأعقبت بالكذب
حتى حلفت على التجنى فوفـت ما تصدق الا فى يمين الغضـــب

62) ن 1 و 3 (ابــن مفــرد)

وقول مظفر الدين صاحب اربـل :

لولا خبر يأتى به الطيف الـــى ما كنت وقد بعدت عن حبك حـى
لما ظهرت أدلة العشق علـــى موهت بحاجر وعرضت بمـى

وقول الامير حسام الدين الحاجري الاربلـى :

أقسمـت بعهـدي لكـم والذمـم
لــولا المـام طيفكـم لـم أنـم
فى اليقظـة قـد حرمـت ان تنظركـم
عينـى فعسـى نراكـم فـى الحلـم

وقـولــه :

طيـف لكـم زائـر جميـل الوصف
قـد صار لكثــرة التدانـى الفـى
مــا أسعدنـى وقـد تمتعـت بـه
لـو صـب علـى نـوم أهـل الكهـف

وقـولـــه :

لمـا سلـك الخيـــال سبـل الغسـق
والفانـى يشتكـى ظـلام الطـرق
بالرحـب لقيتـه وفـى رجعتـه
ألقيت عليـه جذوة مـن حـدق

وقولـــه :

يـا طيـف خيالـه اذا عـدت اليـه
أشـرح قصصى وقبـل الارض لديه
اعلمـه بمـا جنـى بـه نـاظـره
والحاجـب مـا أنكـر فى ذاك عليـه

وقولـــه :

مذ صـد عـن عهـد وصالـى حـالا
لـم يبـرح دمـع مقلتـى هطـالا
أدعـو بلسانـــى يفعـل اللـه بـه
مثلـــى وحشاشتـى تنـادي لا لا

وقولـــه :

لمـــا نظـر العـذال حالـى بهتـــوا
فى الحـال وقالـوا لـوم هذا عنـت
لا تحســب الا أنـــا نعذلـــه
من يسمـع مـن يعقل مـن يلتفـت

وقولـــه :

يـا مـن خطـراتـه لقلبـى عنـت
هل ترجـع فى العتـاب تلـك النكـت

قد قيل محاسن الظبا لفتتها
يا ظبى فنى العمر متى تلتفت

وقوله :

بالذل رفعت قصة الدمع اليه
والارض لثمت خاضعا بين يديه
فى الحال الى حاجبه وقع لى
هذا الشاكى يزاد فى الجور عليه

وقوله :

يا من تجلى الى المصلى غلسا
ان جزت بشادن الحماقف نفسا
بالله وعرض بغرامى فعسى
يستعطف قلبه فقد قيل قسا

وقوله :

أحبابى مالى بحياتى نفع
مذ عز شملنا بشت جمع
فى الليل اذا أرقنى ذكركم
أبكى أسفا جهد المقل الدمع

وقوله :

يا سعد أوامر الهوى لا تحصى
قف نبك فبينهم بهذا أوصا

ناشدتك عـج دمعـى على ربعكـم
نبـك بحقـوق دارهـم لا تحصـا

وقـولـــه :

يـا خشـف مها فدتك نفسـى خشفا
يـا غصـن نقـا حرمت منـه العطفـا
يـا من ألف الضنـا بجسمـى ألفـا
لا تسـرف بعض ذا التجنـى يكفـى

وقـولـــه :

لمـا خطـرت ريـح صبـا بيـريـن
ليـلا وتعطـرت علـى النسريـن
هاجت حرقى فقـال صبحى دونـى
مـا أشبهـه بحالـة المجنـون

وقـولـــه :

النـوم لبعدكـم علـى الطـرف حـرام
والصـب أسيـر لوعـة حلـف سقـام
كانـت بوصالكـم تلـذ الأيـام
غبتـم فعلـى لـذاذة العيـش سـلام

وقـولـــه :

لمـا رحلـو وصـار رشـدي غيـا
لـم أبصـر بعدهـم لجسمى فيـا

ويـــلاه بـــأي حجـــة القـــاهـــم
ان بعـــد فراقهـــم رأونـــي حيـــا

وقـــول الملك الاشرف ابن أيوب صاحب دمشق فى مملوك كان يهواه . وجعله علـــى خزائنـــه :

أهوى قمرا تحـــار فيـــه الصفـــة   يسخو بدمعـــى وهو أمين ثقـــة
ماذا عجب يحفظ مالـــى ويـــرى   روحـــى تلفت بـــه ولا يلتفـــت

وقول ابن الفارض المكى رضى الله عنه وارضاه :

أهـــوى قمـــرا لـــه المعالى رق   من ضوء جبينـــه اضاء الشـــرق
بالله تـــدري مـــا يقـــول البرق   ما بين ثنايـــاه وبينـــى فـــرق

وقول سعد الدين بن العربـــى الدمشقـــى :

أفـــدي قمـــرا (63) لعاشقيـــه ظهـــرا (64)
ان واصلنـــى فطالمـــا قـــد هجـــرا

النمـــل علـــى وجنتـــه قـــد رقمـــت
لا غـــرو اذا مـــا وصلتهـــا الشعـــراء

---

63) ن 4 تمـــرا .

64) فى الاصـــل تمـــرا .

وقول العماد الاصبهانى كاتب السلطان صلاح الدين بن أيوب :

الشوق اليكم شديد البرح
والوجد يجل شرحه عن شرح
صبرا فعسى سماؤه أن تصح
لا بد لكل ليلة من صبح

وقوله :

هبت سحرا فنبهت وسواسى
نشوى خطرت عليلة الانفاس
أهدت أرج الرجاء بعد اليأس
ما أحسن بعد وحشتى ايناسى

وقوله :

بالله عرفت ما بقلبى صنعوا
خلوه بنار شوقهم ينصدع
ما لم أر شملى بهم يجتمع
ما أحسبنى بعيشتى انتفع

وقوله :

ما كنت أظن أننا نفترق
والقلب بنار شوقكم يحترق
بالله صلوا لعلنا نتفق
من باقى العمر ساعة نسترق

وقولـه :

ما أصعـب فراقكـم مـا ألقـــى
أبكـى أسفـا ودمعـى مـا ترقـــا

كـم أتعـب فى هواكـم كـم أشقى
مـا آمـل مـن بعدكـم أن أبقـــا

وقولـه :

مـا أحـوج صبكـم الـى بغيـاه
مـا أشوق ميتكـم الـى محيـاه

عودوا جـودا وأدركـوا لقيـاه
مـا أعطـش غرسكم الـى سقيـاه

وقولـه :

الـروض نسيمـه حليـم سفـه (65)
والنـور علـى الغصـون زاه نـزه

والعيـش كمـا تـراه صـاف رفـه
ومـاذا وقـت الكـرى مـا تنتبـه

وقولـه :

البلبـل قـد غـرد فـوق الفنـــن
واهتـز مـن النشاط عطـف الغصن

---

65) يحلو شرحه و ن 3 يحل .

هـذا زمان الربيـع والـورد جنـى
قـم فانتهـز الفرصـة فالعمـر فنى

وقـولـه :

منشـورك بالعـذار مـن أرخـه
كافورك بالعنبـر مـن ضمخـه

بالمسك علـى الـورد وقـد لطخـه
خـط حسـن أريـد أن أنسخـه

وقـولـه :

مـن رصـع حـل وردك المحمـر
يـاقـوتـك بالزمـرد المخضـر

جـدلـى برحيـق درك المفتـر
فالخمـرة قـد تبـاح للمضطـر

وقول الفخر بن قاضى دارا رضى الله عنه وأرضاه :

مولاي أما ترحم مأسور جفـاك حاشاك بأن تظلـم مثلى حاشاك
ان كنت تشك أن قلبـى يهـواك هـا أنت به فهل نرى فيه سواك

وقول الملك المنصور بن أيوب صاحب حمـاة :

عينـى دمعت مسرة بالجمـع قالوا مهـلا ما فى البكا من نفـع
دع عينك تستغنـم منهم نظرا ماذا زمن تشغلهـا بالـدمـع

وقول العماد بن الزاهد بن أيوب صاحب البيرة :

ذي كاظمة والعلم الفرد يلـــوح　　　والاجرع والغضا وبان وطلـــوح
هاتيــك منازل بهــا كان لنــــا　　　عيش ومضى فنح ان كنت تنوح

وقــول باذكــى (66) صاحب البصرة :

زود نظري بنظرة قبل تسيـــــر　　　من وجهك ان عمر ذا اليوم قصير
لا تأمن ان تذوق ما ذقت أنــــا　　　أو تصبح فى حبائل الحـب أسير

وقــول الفخر بن بصاقــة :

البلبل كم يصيح فى الدوح بليت　　　والدوح يميل قائلا منــك زهيت
لا يعلم ذا مقدار ما حل بـــذا　　　حبى أبدا ينعم اذا قلت شقيــت

وقول ابــن نبهــان الدمشقــى :

من حبك فى حشاشتــى أوطان　　　ما مر بها العذل ولا السلـــوان
تالله لقد حلوت فى القلب فلـــو　　　بالهجر مزجت طاب لى الهجران

وقــول الجمال بن مطـــروح :

لا تستر مـــا جرى فما يستتــر　　　عندي وحياة ناظريك الخبـــــر
لا بأس عليك فالقنـــا منبســـط　　　فى حبــك كل هفــوة تغتفـــر

---

66)　ن 2 باذكي و ن 3 باتكــي .

وقول قمـر الدولة ابـن دواس الفنـا :

سكان قبا أفديكم مـن سكنـــى   مـا أطيب وقع ذكركم فـى أذنى
لم أنس وقد قضيت معكم زمنـا   أبغى بدلا يا ليت شعـري بمـن

وقول الصلاح الاربلى نديم الملك الكامل صاحب الكامل :

لما عرف الدار بكـا وانتحبـا   واستنجدا أدمعا تحاكى السحبا
مـا زال مرددا بهـا واحزنـا   حتى ذهب المسكن مع من ذهبـا
وقـولـه : باللـه عليـك أيهـا المرتحـل
بلـغ عنــى أحبتــى مـا فعلـوا
قل مات فان قالوا متى ، قل لهم   من يوم فراقكم أتاه الاجـل

وقول أيدر (67) التركـى :

بالله ان جزت علـى نعمـــان   أنشد قلبا قد ضاع عن جثمـان
وأحذر يعطوك غير قلبى غلطـا   فالقوم لديهم كل قلـب عانـى

وقـول الضياء بن ملهـم المقدسـى :

بالله لقـد سمعت فى الدوح أنين   ورقـاء تنادي بنحيـب وحنـين
الالف مجـاوري وهـذاكلفـى   مـا حال قرين قد نأى عنه قرين

---

67) ن 3 أيـديـو .

وقول العماد السلماسي :

يا من هجروا بالله ما نهجركم تتسون ونحن دائما نذكركم
العذر لكم فى عيشنا بعدكم العذر لكم يا سادتى العذر لكم

وذكرت له ما ذكره أبو الحسن على بن سعيد رحمه الله قال : سمعت الملك الناصر ينشد لنفسه وقد جاءه مملوك بباكورة ورد :

الورد قد أتى مبشرا بالامل عجلان مبادرا وقوع الملل
لا تخجله ولا الذي جاء به فى خدهما ما قد كفى من خجل

ولما عدت من العراق ، وأنشدته من محاسن الدوبيتيات ما أمر بكتبه ثم قال لى هذا طراز لا تحسنه المغاربة فقله له يا خوند (68) كما أن الموشحات والازجال طراز لا تحسنه المشارقة والمحاسن قد قسمها الله على البلاد والعباد . قال : صدقت ، فهات ما نظمت أنت فى هذا الطراز فأنشدته :

مولاي أراك دائم الاعراض والعمر يمر ضائع الاغراض
كم أسئلك الرضى وكم تمنعه الملك لمن أصبحت عنه راض

قال ما قصرت ركبت الجادة ، وما تحتاج بعد الى دليل ، انتهى . ولم نزل نثير لئالىء الفوائد ونسحب أذيال المقطوعات والقصائد ، ونرد من ذلك أحلى المصادر وأعذب الموارد الى أن أزفت النوى . وأثارت

---

68) خوند Khund اي السيد فارسية الاصل كما جاء فى H.A.R. gibhu وهي مختزلة من خداوند .

الجوى ، ففرقتنا بعد تألف وأقصدتنا بسهم تحيف فبالـغ فى الاكرام واعتذر ، وزود حتى لم يذر ، وودعته الجوانح ملتهبة والدموع منسربة والشوق بقلوبنا لاعب ، وغراب البين ببعد الاحبة ناعب وكم سربلتنى النوى سقما ، وأصارت فى عقلى لمما ، فلو أن ما بى منها بجفن ما ألف هجوعا ، أو بقلب لفاض نجيعا . ولكنى خلقت جلدا وعدت بالحوادث حجرا صلـــدا :

يـــوم الفــراق لقد خلقت طويلا لم تبق لـــى صبـــرا ولا معقـــولا

قالوا الرحيل فمـــا شككت بأنها نفســـى عن الدنيا تريد رحيـــلا

ومما أنشدنى لنفسه فى تلك الايام البادية الاتضاح السائلـــة الغرر والاوضاح قوله يخاطب السلطان الفاضل أبا عبد الله بن مولانا أمير المومنين عند قدومه حضرة تونس وقد وردت عليه عربه مـــن ريـــــاح :

يا قادما وافى فعـــم خصبنـــا لا تنكر العرب التـــى جاءت اليك

لو لم توافِ رحمة مـــا أرسلـــت فينا ريـــاح نشرت بين يديـــك

وأنشدنى قوله وقد دخل السلطان الاجل صاحب مدينة فاس أبو الحسن المذكور أولا مدينـــة تلمسان بعد أن حصرها مدة وهدمهـــا بالمجانيـــــق :

تلمسان كانت فى البناء منيعـــة عليها من العـــدوان شر لبـــاس

فلا غـــروان هدت لنا وتهدمـــت فقد جاءها للهدم صاحب فـــاس

وأنشدني قوله وهو بحضرة فاس :

أيا عجبا كيف تهوى الملوك   محلي وموطن أهلي وناسي
وتحسدني وهي محسودة   وما أنا الا خديم بفاس

وأنشدني قوله :

لعمرك ما ثغره باسم   ولكنه حبب لاعب
ولو لم يكن ريقه مسكرا   لما دار من حوله الشارب

وأنشدني قوله مخاطبا بهما عند ورودي عليه بقسنطينة المذكورة وقد لاح برق :

انظر الى البرق يجلو عنك اظلاما   وشمه يا خير من البرق قد شاما
كأنه اذ قدمت ارتاح من فرح   فظل يبدي اليك الثغر بساما

وأنشدني لنفسه وكتبهما بخطه على ظاهر المبيضة من هذا الكتاب حين وقف عليه هنالك :

ان الامام أبا البقاء لاوحد   عجب يعز بمغرب ومشرق
لو لم تكن دررا لنا كلماته   ما نظمت حليا بتاج المفرق

وأنشدني للشيخ الامام العلامة الفاضل أبى العباس أحمد بن شعيب أحد كتاب السلطان أبى الحسن ملك المغرب :

يـا رب ظبى شعـاره النسـك الحاظـه فى الورى لهـا فتـك
يترك مـن هـام فيه مكتئبـا لا تعجبـوا ان قومـه التـرك
أشكو لـه ما لقيت من حـرق فينثنـى لاهيـا اذا أشكـو
وحين لم يقض مـن تعطفـه أخـذا ولا من صبابتـى تـرك
صبرت حتـى أطـل عارضـه فكان صبري ختامـه مسـك

ثم خرجت منها ضحوة يوم الخميس السادس لشوال من عـام أربعين المذكورة فى لمة من فتيان الوفاء ، وفرقة من اخوان الصفاء ترسل أولى الخيل على اخراها وتعرض السوانح فسيحضرها أدناها :

كان بزاتهـم أمـراء جيـش علـى أكتافهـم صـدأ الـدروع

وما زلت أساير السبيل السالك حيث سار ، وأخذ اليمين تـارة وتارة اليسار ، وكل ناحية تسفر لى عن خد روض أزهر ، وعذار نبـت أخضر ، وتبسم عن ثغر حباب فى نهر كالحباب ، وترفل من الربيع فى ملابس سندسيات ، وتهدي نوامج مسكيات ، وتزهى من بهجتها بأحسن منظر وتتيه بجلباب اينع من برد الشباب وانظر الى أن دخلت (بجاية) المحروسة فى يوم الاحد السابع عشر لشوال المذكور ، فنزلت بها فى قصر من الديار ، ودار من القصور ، دار تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور ، وتقر لها بالقصـور :

دار مشى الاتقـان من تنجيدها حتى تناسب روضها وبناؤهـا
مرقومـة الجنبـات ذات قرارة يمتـد قدام العيـون فضاؤهـا
مـا زال يضحك دائما نوارهـا فى وجه ساحته ويلعب ماؤهـا

ونحن تحت ظلال ضيافة السلطان الاجل الافضل الانجد الامجد الاكمل سراج الدولة وريحانة الملك وطليعة النجابة أبى زكرياء يحيى بن مولانا أمير المومنين أبى يحيى أبى بكر أعلى الله أمرهم وأعز نصرهم ، فهو أسد الحملة وفارس الجولة الذي جاء بثاية أوضح وأجلى وطلع من ثنية الملك ابن جلا ، فأحكم الله بأخباره أخبار الاول كما نسخ بهذه الدولة وملوكها الملوك والدول ، وجعلها مستولية على جميع المآثر والاثر ، مستوفية لكل المجد من عين وأثر ، وأقمنا يطاف علينا بالطيبات والطيب بين العود الرطب وجنى الغصن الرطيب ، والنادي الذي احتوى الشادي الشادن والاديب اللبيب وجمع مع الصادق، والحميم الحبيب ، هو الفقيه الاجل الفاضل الكامل أبو الحسن على بن محمد المشتهر بالحمى

شقيق أخاء لا شقيق اخوة نسيب صفاء ان ذكرت نسيبا

أحلته هنالك الاقدار واطمئنت به فى تلك المدينة الدار ، ونزح فى طلب العلم عن الاوطان حتى صار كاتبا لهذا السلطان فتمتعت بموانسته وتمنعت الا عن مجالسته . وتعاطينا أحاديث كأنها رضاب وفوائد لها بيننا اقتضاء واقتضاب :

أحاديث أحلى فى النفوس من المنى وألطف من مر النسيم اذا سرى !

وتذكرنا أزماننا بغرناطة ، سقى الله ارجاءها المشرقة . واغصانها المورقة ، ولله ايامنا بها التى كانت موشية . وعكوفنا على العلم فيها غدوة وعشية وقد امتد ببغيتنا فى ميدانها عنان . وجن بتسنى أمنيتنا فيها جنان ، والزمان غلام ، والدنيا تحية وسلام . والغصن رطيب وبرد الشباب قشيب والشمل جامع ، والدهر مجيب وسامع ، وأيامنا أعياد وللسعد فى زماننا انقياد ولاهم الا مباحثة صحاب ، أو مجاذبة آداب أو ائتلاف على تأليف درر الفوائد وانتداب ، فبالغ الزمان فى

تفريقنا حتى بلغ الغاية ، وأبدى من تغريبنا وتشريقنا العجب والآية ؛ وذهب البين بنا كل مذهب وقدر لنا أن اجتمعنا ببجاية :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما — يظنان كل الظن ان لا تلاقينا

وحين تباثثنا الاسرار ، وتناشدنا الاشعار ، وأنشدنى من المقطوعات ما لم أرضه ولا أثبته وكنت قديما قد سمعته فنبذته ، فقال لى : انما الاعراب للاسماء ولا يجوز التيمم مع وجود الماء اياك أردنا ، وأنت فانشدنا فأنشدته فى المعنى الذي أشار اليه والمورد الذي حام عليه لجمال الدين بن العطار :

اذا ما بدا مرخى الذؤابة وانثنى — ضحوك الثنايا مرسل الصدغ فى الخد
بدا البدر فى الظلماء والغصن فى النقا
وزهر الربا فى الروض والآس فى الورد

وأنشدته لبعض الفضلاء من أهل العصر :

تأمل ترى خضرة الشارب الذي — على الشفة اللمياء والمورد العذب
زمردة خضراء فوق عقيقة — وتحتهما سمطين من لؤلؤ رطب

وأنشدته لبعضهم :

لم يكفهم وهو روض حسن — حراسة الاعين المراض
خافوا على زهره قطافا — فشوكوا حائط الرياض

وأنشدنى لابى فراس الحمدانى (69) :

من أين للرشأ الغرير الاحور — فى الخد مثل عذاره المتحير
رشأ كان بعارضيه كليهما — مسكا تساقط فوق ورد أحمر

---

69) فى الاصل العمرانى .

وأشدته لابن المعتز :

يحيى النفوس اذا يشاء بقربه ويميتها بفتور طرف ساج
لاح السواد بخده فكأنه سبج أضيف الى جوانب عاج

وأنشدته لابى القاسم بن كامل :

وهويت سكران اللواحظ أغيدا يحيى فتور جفونه ويميت
للحسن كافور على وجناته ولصدغه مسك عليه فتيت

وأنشدته لابن كامل أيضا :

نبت العذار بخده فكانما نبتت بروضات الربا ريحانها
وكأن نارا للجمال بخده شبت فلفع عارضيه دخانها

وأنشدته للعماد الاصبهانى :

ومعذر لعب الدلال بطرفه وبعطفه فكلاهما نشوان
وتواقعت نار الصبافى خده معمائه فعلا هناك دخان

وأنشدته لعز الدين ابن العجمى :

لهيب الخد حين بدا لعينى هوى قلبى عليه كالفراش
فاحرقه وصار عليه خالا وها أثر الدخان على الحواشى

وأنشدته لابى تمام غالب بن باح :

يا سالب البدر المنير جماله البستنى للحزن ثوب سمائه
احرقت قلبى فارتمى بشرارة نزلت بخدك فانطفت فى مائه

وأنشدته له أيضا :

يا حبيبا له الفؤاد محل كيف يجفو وأنت فى سوادئه
كتب الحسن فوق خدك خالا فامحى الخال غير نقطة خائه

وأنشدته لابن عبد ربه القرطبى :

يا ذا الذي خط العذار بخده خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن جفنك صارم حتى حملت من العذار حمائلا

وأنشدته لابن حصن الاشبيلى :

غزال كحيل له ريقة يخالطها المسك والقرقف (70)
كأن العذار على خده نجاد ومقلته مرهف

وأنشدته للملك الناصر بن العز سلطان الشام :

سلوا قوام الغصن لم ذا غدا عنى لا لى فى الهوى مائلا
وخده التبري ما باله عذاره قد جاءنى سائلا

---

70) القرقف الخمر و 2 ن 1 النرنق .

وأنشدته لعز الدين بن العجمى الحلبى :

قد كان من قبل ذا نهارا   فزيد ليلا من العذار
فأين منه وهل مفر   لنا من الليل والنهار

وأنشدته لبعض المشارقة :

واحزنى من فرند خد   لمع نسرينه بورد
وعرقت نون عارضيه   على عقيق بلا زورد
يلعب بى والهوى مجد   ورب هزل أتى بجد

وأنشدته للامير حسام الدين بن بهرام الحاج الايلى :

لم لا أحن الى الحجاز صبابة   ويفيض دمع العين بالهملان
ورضابه الخصر العذيب وخده   النضر الحما وعذاره العلمان
لم يعد ذاك الخد خال أسود   الا لنكث شقائق النعمان

وأنشدته لابى الحسن رستم المعروف بابن الساعاتى :

ومشوب الوداد ساغ هواه   فى خفى الاحشاء أي مساغ
بلغت وحيه الذوائب قلبى   ما على المرسلين غير البلاغ
قمر نور وجهه يكشف الشمس   اذا حل عقدة الاصداغ

وأنشدته لابى الحسين العاصمى :

وشادن دينه التشيع بالكـ ـرخ يضاهى الغصون بالميل
واصلنى ثم صد عن ملل فليته قبل ذلك لم يصل
تصيح الحاظه اذا قتلت بسحرها العاشقين يا لعلى

وأنشدته لابن الرضى الفضل بن منصور الفارقى :

مولاي يا بدر كل داجية خذ بيدي قد وقعت فى اللجج
حسنك ما تنقضى عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حرج
بحق من خط عارضيك ومن سلط سلطانها على المهج
مد يديك الكريمتين معى ثم ادع لى من هواك بالفرج

نقام وقبل رأسى ، وقال كيف يعارض من جال آفاق المغرب وهو ينفض الغبار من خوض احشاء المشرق ، فلما أطنب فيما به اثنى ، سلكت به فى غير هذا المعنى ، وأقمت منها بين جداول كالسيوف المرهفة. وبسط نبات كالبرود المفوفة . وأيام معلومات الذيول ، عاطرات عرفى الصبا والقبول ، نعمنا ببكرها وآصالها . وأمتعنا بتواليها واتصالها . والسعد لنا خادم ، وما غير السرور علينا قادم ، ولما هصرت من انسى غصنا ميادا ، وانصبت بميدانها للانس جيادا ، خرجت مودعا لذلك الاخ الفاضل ، وشاكرا لتلك الشيم والمخائل وسائر بين تلك الربى والخمائل ، فى يوم الاحد الرابع والعشرين من شوال المذكور . ولم نزل نصعد أنف كل ثنية ونعقد لجهاد كل مارق أفضل نية ، ونجدد لعربان جبل الزاب . كماة ورماة ، معتقلين عوالى سمر ردينية ، ومتنكبين اعطاف قسى محنيه . قد صفوا متقدمين وحفوا عن الشمال وعن اليمين.

واستحثوا فلبوا مسرعين ، وأسرعوا مهطعين . وأقبلوا ينفضون ، كأنهم الى نصب يوفضون :

يتـــوددون الخطب وهو مهانــك ويبادرون الحرب وهـى فنـــاء

ويخاطبون بألسن البيــض التــى من دونها تتلجلـج الخطبـــاء

وقد تلاقت على امحاض النية الارواح فى أجسادها ، وكادت الاسنة تطير من عواليها . والسيوف تنسل من أغمادها ، وتهيأت طيور السهام فى وكنات الكنائن كمينا ، ومدت من الاشتياق الى مقاتل أهل الشقاق والنفاق يمينا ، وأطالت حنينا ، لما كان قد تولى من بغيهم وفسادهـم وقطعهم للطرق وعنادهم ، وهذا الجبل المذكور هو من أجل اعتمادهم وأتم مرادهم لاختلاف أهوائه ، وائتلاف شعرائه ، وعظم ساحتــه واتساع مساحته ، وتوعر أرضه ، وانخراق طوله وعرضـه ، وثمراتــه الشامخات فى عنان السماء ، التى تبهر فى العلو والنماء ، وتظهر فــى اشراق محيا النهار معتكر الظلماء ، وما أظن مثلها تحت أديم القرصة الدهماء فدخلناه صبيحة يوم الاثنين ثانى يوم خروجنا فى أزيد من مائة انسان من مشاة وركبان . ورجال وفرسان . نخطر فى القنا والاعنة . ونمطر سحائب المنايا من بروق الاسنة فمن عوالى رماح . تثير خطياتها وهج الكفاح . من كل مثقف رحب الخط ضنك المدخل . أزرق لا ينى عن ورود الاكحل ، يميس فى اعتداله وان لم يعدل ، قد جرى الموت فى عطفيه جرى القضاء المنزل ، ومن مواضى سيوف ، قد طبعتها أيدي القيون ، من شتى حتوف ، من كل صارم ذكر ، محمـــود الخبر ، يتيــه بصدق الانباء فخرا على الاقلام . ويسبق الخطى الى برى (71) الطلا والهام . وتعرف مواقعه بحيث تدور رحا الحرب الزبون بالجيش اللهام

---

(71) فى بعـض النســخ او بــذ

ذكـــر برونقـــه الـــدمـــاء كـــأنمـــا
يعلـو الرجـال بارجـوان (72) ناقـع

وتـــرى مضـــارب شفرتيـــه كأنهـــا
ملـــح تناثـــر مـــن وراء الـــدارع

وكأنمـــا خـــدر الحســـام بهامـــه
خـــدر المدامـــة أو نعـــاس الهاجـــع

ومن القسى شتى الحنايا ، تهدى الى الارواح ارسال المنايا ، من كل زوراء تسبق العين وتدنى من الحين ، وتصدق الخبر بلا ريـب ولا مين ؛ تصمى وهى فى النزع مرنان ، وتجنى ولها ترنم النشوان وانة الثكلان تشكو وهى ظالمة . وتهدي السبيـل وهـى به علـى بعـد المـدى عالمـة :

اذا نبض الرامون عنها ترنمت ترنـم ثكلـى أوجعتها الجنائـز

ومن غدران الماذي (73) ما شئت من سابغات دروع ، يغنى عنها البطل الشجاع ، ويفزع اليها الجبان المروع قد قدر سردها ، وأبدع مـن نسج داود بردها ، ومن حسان الدرق اللمطية التى تنبو عن صفحاتـها بيض الصفاح وسمر القنا الخطية اعداد تروق العيون ، وتدفع عـن مستلمها (74) حادث المنون من كل فادية الكماة بنفسها ، واقية مـن كل محذور وبؤس بقوتها وبأسهـا :

---

72) شجـر لـه ورد .

73) الماذي اي السلاح كله (و 2 ن 3) غدران الماضـى

74) ن 2 مستلئمهـا

وصليبة تلقى الصفاح بصفحة فتردها مفلولة الاغراب
تقسو على قرع السيوف كأنها وجه اللئيم قسى على الطلاب

وما شئت من مجن تروق عند النظر ، ويعكس شعاعه ضوء البصر يحتوي من الحسن على كل بديعة ، ويزري بمجن ابن أبى ربيعة ، ومن بيض الرؤوس أمثال حباب طاف أو أنصاف بيض نعام لاحت كزرق نطاف ، الى غير ذلك من العدد التى بها تشهد الحر بالزبون ، ويهزم العرب الذين هم لاذاية المسلمين يتحزبون ، وصحبنا من الصافنات الجياد ، التى لم يزل الخير منها فى النواصى والاجياد . كرام الخيول وأمثال السيول ، من كل نهد يسبق الطرف ويستغرق الوصف :

ومن كل قبى القميص مدثر يروقك كالقرطاس حبره الحبر
وورد كأن الخمر صرفا بجلده وأصفر فيه يمزج الماء والخمر
واشقر حلاه اللجين (75) حجوله وغرته ثم استبدبه التبر
وأبلق أعطى الليل شطر أديمه فلما تمشى فيه ضايقه الفجر
وأدهم فى اعطافه تعبس الوغى وأشهب فى أرجائه يضحك النصر

وطفقنا نخبط فى سهل هذا الجبل ووعره ، ونخلط سير آترابه بصخره ، ونشق أعطافه شقا . وندق جنادله بالحوافر دقا الى أن أتممنا سيرا عند سقوط الشمس للغروب ، وقد أنضيت الرواحل من الاعياء وضعفت النفس من اللغوب ، وعندما ملنا للنزول ، وعطفنا من تلك الحزون الى السهول ، تصارخت العرب واجتمع الابن منهم والاب ، ثم حملوا علينا حملة ظننا ان الجبال الينا راجفة ، وان الارض بنا واجفة ،

---

75) ن 2 و 3 اللجين حجولة

فصبرنا لحر طعانهم وتجرعنا مرارة مرانهم واقبلناهم أوجها تتهلل اذا عبس الحمام ، وأنفسا تتجلد كلما عضها الحسام ، فتجرعنا الغصص وتجرعوا ، واشرعنا اليهم مثل ما الينا أشرعوا :

لقيناهم بأرماح طوال تبشرهم بأعمار قصار

وتوافقنا طويلا وقد حميت الصدور ، وكؤوس المنايا تدور ، ثم صدقناهم الجلاد والطعان ، وحملنا عليهم كاننا الرعان . . وازلناهم عن مركزهم ، وبدلناهم بالذل من تعززهم ، وواليا عليهم الكرة بعد الكرة ، وحوزنا عليهم فى كلها أشد المعرة ، فولوا أمامنا مدبرين ، واضحوا كالنعام مجفلين ، وحال بيننا الظلام المكفهر ، فلم ندر من فر منهم الى أين يفر ، وانحاز بعضنا من بعض وقد عضتهم نار الحرب ايما عض :

ورحنا بعد ذاك الى مقام تحدث عنه ربات الحجال
كأن الخيل تعلم من عليها ففى بعض على بعض تعال

وبات الجمهور من أصحابنا متقلدين لصوارمهم مخلصين أصدق النيات فى عزائمهم باذلين فى ذلك مشكور اعتمادهم واعتمالهم ، مصدقين لقول من قال فى أمثالهم :

نفسى فداء معاشر شادوا العلا بعزائم وأسنة وصفاح
ما للرجال وللنعيم وانما خلقوا ليوم كريهة وكفاح

ثم رحلنا ظافرين وأدلجنا مسافرين ، وأفضى بنا الركض الى ملة بيضاء مفضية الى قرارة خضراء تتفجر فيها عين كمقلة ورقاء ماؤها صفاء

انسانها واحدق بها النبت كهدب اجفانها ، فنهلنا فى نميرها وكرعنا فى غديرها ، وركزها رماح الخط فوق رياض القصب وافترشنا مطارق الوشى فوق درانك العشب ، وجعلنا من اللجم أوتادا مرفودة واتخذنا من الاعنة أسبابا ممدودة فقدم الخباء ، واستوى البناء ، والماء يقهقه فى خريـره والقمري يقرقر فى هديره ، والنسيم يعبق من المسك الذكى والجو مضمخ بزعفـران العشـى :

تشـدو بعيـد ان الاراك حمامة   شدو القيـان عزفـن بالاعـواد
مال النسيـم بقضبه فتمايلـت   مهتـزة الاعطـاف والاجيـاد
هذي تودع تلـك توديع التـى   قد أيقنت منهـا بوشـك بعـاد
واستعبرت لفراقهـا عين النـدا   فابتـل مبرز غصنها الميـاد

فانا لكذلك اذ برقت السمـاء فسلت مذهب نصولها وأرعـدت . فضربت منذر طبولها . وجعل الغمال يهيىء مراكبه وأخذ الربان يرتـب كتائبه ، فبعد ما أعز السير وامتد طلقه وغلبه البهر فتصبب عرقـه خـر (76) هنالك ولقى ، فعندها نادم الروض فغنى وسقى ، فتنفست الارض عن نكهة العروس وتبرجت فى حلية الطاووس :

وكان صوت الرعد خلف سحابـه   حـاد اذا ونت الركائب صاحـا
مرتجـة الارجـاء يحبس سيرها   ثقل فتعطيـه الرياح سراحـا
أخفى مسالكها الظلام فأوقـدت   من برقها كى تهتدي مصباحـا
جادت على التلعات فاكتست الربى   حللا أقام لهـا الربيع وشاحـا

---

76) ن 1 و 3 خـر ، وهو الصواب (أو نر هنالك لفا)

فساعةً خمد ذلك البرق ، وانقشع ذلك الودق ، واعتزمنا على الرحيل والتحول فى برد الاصيل :

وبدا لنا ترس من الذهب الـذي ... لم ينتزع من معدن بتعمل
مرءاة تبر لم تشن بصياغة ... كلا ولا جليت بكف الصيقل
تسمو الى كبد السماء كانما ... تبغى هناك دفاع خطب معضل
حتى اذا بلغت الى حيث انتهت ... وقفت كوقفة سائل عن منزل
ثم انثنت تبغى الحدور كأنها ... طير أسف (77) مخافة من أجدل

بين الانهار والازهار فى العشايا والابكار :

ورب عشية فيها طفقنا ... نرود الظل والماء القراحا
وقد ضرب الضريب بها قبابا ... على الادواح أبهجت البطاحا
وكان جنابها يخضر آسا ... فاصبح وهو مبيض اقاحا
كأن الخضر جربها يمينا ... ومد عليه جبريل جناحا

وما زلنا فى طريقنا ذلك نتجول على تلك المنازل ، ونتحول فى تلك الخمائل ، ونضرب فى الارض كالعقبان الكواسر والليوث الخوادر ، الى أن وصلنا الى مدينة (الجزائر) فدخلناها فى يوم الاحد الثانى لذي قعدة من العام المذكور فأصلحنا بها الاحوال وجددنا منها الترحال ، وخرجنا ضحوة يوم السبت الثامن لذي قعدة المذكور وسرنا بعزم غير مرتاب وسير يطوي البيد طى السجل للكتاب ، الى أن وصلنا الى مدينة (تلمسان) وقد انجلى ظلامها وأزيل عن يد الباطل زمامها ،

---

77) اسف اي دنا من الارض للنزول .

وعوفيت من اختلالها ، وشفيت من اعتلالها وأشرق منها الجو وأنـار ، ولاح للعدل بها علم ونار ، فدخلناها يوم الاربعاء التاسع عشر لـذي قعدة من العام المذكور ، وخرجنا منها عشية يوم الجمعة الحـادي والعشرين لذي قعدة المذكـور فنزلنا تلك الليلة على بعض قراهـا . واستعملنا ما كنا استصبحنا من قراها ثم قمنا للرحيل وادلجنا ومـا عجنا على غير المسير ولا عرجنا ، الى أن وصلنا (هنين) والشمس مستوفية اللالاء ، مرتقية درجة العلياء ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فى يوم السبت الثانى والعشرين لذي قعدة المذكور فوافقت قرقورة كانت هناك قد كملت وسقا، وخفقت بنودها للسفر خفقا، وقلدت القرية وعملت على المرية فاستخرت الله تعالى فى ركوبها ، ودعوته فى تيسير مرامها ومطلوبها ، وخرجت من هنين راكبا فيها فى يوم الاربعاء السادس والعشرين لذي القعدة المذكور وحين فرغت من الارض وصحوت من سراها وممساها قربت لى الفلك فقلت باسم الله مجراها ومرساها ، وما زلت بين قوادمها وخوافيها الا حظ المنايا حينا وحينا أكاد أوافيها قد تبدلت من ظل علا ومفاخـر ، بقفر طامى اللجـج زاخر وعوضت من صهوات الخيـل ، بصهوات اللجج والليل حتى آليت الا أودع الريح تحية ، ولا يورثنـى هبوبها أريحيه ، فهى التى أثارت من الموج حنقا ، ومشت عليه خببا وعنقا ، حتى اعادته كالكثبان وأصارت المركب فوقه يتلاعـب كقضيـب البان وأخرجته عن طريقه وأزالت كل واحد منا عن مركـزه وفريقـه . ورقت غصصه وأغصته بريقه ، حتى لكاد يغوص فى اللجاج ويخوض عليها بحر عجاج الى أن حط بى فى مرسى (مجاقر) الشـراع والسفين ، وآويت من جزيرة الاندلس الكريمة الى الكهف المنيع والمكان المكين . واستقبلت مواطن ظلال السيوف فقلت ادخلوها بسلام آمنين (وقـد جـاء) عن النبى صلى الله عليه وسلم آثار فى فضل الاندلس وفضـل الجهاد فيها والرباط فى ثغورها ، وعلى سواحل بحورها ، وفى فضل العابرين فى البحر برسم الرباط فيها والجهاد وتكثير السواد ، فمـن

ذلك ما حكاه ابن حبيب قال : روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم سينقطع الجهاد والرباط من المشرق والمغرب الا جزيرة بالمغرب يقال لها الاندلس الذي يرابط بها على ساحل بحرها من وراء عورة المسلمين أفضل من شهيد يتشحط (78) فى دمه وحدث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم رباط خلقه الله على جديد الارض جزيرة بالمغرب الاقصى شرقيها عدو وغربيها عدو وجوفيها عدو وقبليها عدو وهى جزيرة يقال لها الاندلس ، وروى عنه أيضا أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من المسجد فأشار بيده تلقاء المغرب مسلما ، فقيل له على من تسلم يا رسول الله قال على ناس من أمتى يكونون فى هذا المغرب بجزيرة يقال لها الاندلس اليها آخر ما ينتشر هذا الدين رباط يوم فيها أفضل من رباط عامين فى ثغور غيرها حيها مرابط وميتها شهيد ، تحشرهم السحاب يوم القيامة من وراء هذا البحر الكافر على ظهورها فتمطرهم على أرض المحشر كما تمطر السحاب الماء وهم ممن استثنى الله تعالى فى كتابه : « فصعق من فى السماوات ومن فى الارض الا ن شاء الله» ، قيل يا رسول الله بم نال أهل الاندلس هذه الفضيلة ، قال بجهادهم ورباطهم فيها وبأخذهم مذهب أهل المدينة خير أمتى فى المحيا والممات وانى سألت الله ألا يبتليهم ببدعة حتى يلقونى ، وقال صلى الله عليه وسلم ، طوبى لمن أدرك زمانا

---

78) يتشحط : الدم تضرج به أي أخطر به فيه .
وعن مسلم بن الحجاج بسنده الى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال
رسول اللل صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى
تقوم الساعة ، ومن حديث سعد بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق الى يوم القيامة،
وروي عن طريق بقى بن مخلد فى مسنده قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد
اخبرنا هشيم أخبرنا داود بن ابى هند عن ابى عثمان النهدي عن سعد عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى
تقوم الساعة او ياتى أمر الله .
راجع الديباج ص 37 والتشوف ص 2 طبعة الرباط .

يدخل الاسلام الاندلس ويرابطون فى ثغورها فى آخر الزمان فهم بمنزلة المرابطين من أهل بدر من المهاجرين والانصار ثم قال من رابط فى ذلك الزمان ساعة واحدة كتب له من الثواب عدد كل نفس فى الدنيا ، وروى عن شهر بن حوشب أنه قال ما من بقعة من الاندلس الا ولها ثواب لا يدركه الا العاملون يبعث الله تبارك وتعالى أهل الاندلس يوم القيامة على حدة لا يخالطهم أحد ، قد جللهم النور والبهاء وهم رؤساء المجاهدين، وقال أبو جعفر الطبري : قال كعب الاحبار يعبر البحر الى الاندلس قوم يعرفون بنور وجوههم يوم القيامة وقال وهب بن منبه يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ستفتح بعدي جزيرة يقال لها الاندلس يأتى الصغير منهم والكبير شهداء يوم القيامة يمطرهم على بيت المقدس كما تمطر السحاب الماء وهذه الاخبار ان صحت فيها ونعمت والا فالقاعدة تقتضى صحة المعنى فيها اذا الاصل فى الاجر والثواب فى ذلك أن يكون على قدر تعب النفس وتعنيها ، وفضل الاندلس مبين ومكانها من القلوب مكين ولقد أنصفها حين وصفها أبو عمارة البصري بقولـه :

لله اندلس ومـا قد جمعت　　　من كل ما جمعت لـه الاهـواء
فكأنما تلك الديار كواكب　　　وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول فى جنة　　　ولعت بها الافياء والانواء

ثم رحلنا من ذلك المرسى وتبدلنا من تلك الوحشة أنسا ، وأهل تلك الاقطار ، يطيرون الينا كل مطار ، فى تلك الاودية والانهار ، بين سار بالليل وسار بالنهار :

يا ساري الليل هل من رامة خبر　　　فاننى لسواه ليس أنتظر
بالله ربك خبرنى فها كبدي　　　تكاد من ذكرهم بالوجد تنفطر

أحباب قلبى وجيرانى وأهل منى　　　روحى اذا طربت والسمع والبصر

اعندكم اننى من بعد فرقتكـــم　　　لا أستلذ بما يهوى لـــه النظـر

ترى أراكـم على بانات كاظمــة　　　والعذلقد غابوالاحبابقد حضروا

ويجمع الله شمــلا طالما لعبــت　　　به الليالى ولم يسعف له القـــدر

فدخلت مجاقر المذكور فى يوم الاحد الموفى ثلاثين لذي القعـدة المذكـــــور :

كـل المنـازل والبــلاد عزيــزة　　　عنـدي ولا كمنازلــى وبــلادي

فانخنا بها من عطن ، وقد أشرفنا بحمد الله على ثنايا الوطن :

وأبرح ما يكون الشوق يومــــا　　　اذا دنت الديار مـــن الديـــار

وبتنا بها نعالج آلام الاشواق ، ونطارد ذوات الاطـواق ، ولمـا طرب طائر السحر وأذهب الصبح ما بصدر الساهر من الوحر ، فوقت سهم العزم وأطرت عن زنده شرار الحزم ، وأدخلت على معتل التوانـى حرف الجزم ، وخرجت منها فى صبيحة يوم الاثنين أول يوم من ذي الحجة من عام أربعين المذكور ، وسرنا فى ظل ظليل وزهر بليل وهواء صحيـح ونسيـم عليـــل :

وحدائق ينسيك وشى برودهـــا　　　حتى تشببهـــا سبائــك عبقـــر

يجري النسيم خلالهـــا وكأنهـــا　　　غمست فضول ردائـــه بالعنبـــر

فى ضفتى نهر وادي المنشور الملتوي كالايم (79) الذاهب منظره بالسئام والاين ، من نهر يدوخه هبوب النسيم ويتراءى الشقائق كأنه العذار فى وجه الوسيم ، ونحن نخف فى سبيل دلالته ، ونلتحف بظل جلالته ونغازل تلك الاغصان ، ونعتد (80) من أوراقها بخرصان (81) وننظر ذلك النهر السلسال ، فنذكر دمع المهجور اذا سال :

أحن الى الوادي ومن فيه نازل ... ومن أجل من فيها تحب المنازل

وأشتاق لمع البرق من نحو أرضكم ... ففى البرق من تلك الثغور رسائل

يرنحنى مر النسيم لانه ... بأعطاف ذاك الزند والبان مائل

وان مال بان الدوح ملت صبابة ... فبين غصون البان منكم شمائل

ولى أرب أن ينزل الركب بالحما ... ليسئل دمعى وهو للركب سائل

وبى أنة لا تنقضى أو أراكم ... ويصبح نجد وهو بالحى آهل

وما برحنا تلتحف من ظل أيكه أبردا ، وكأنما دخلنا منه صرحا ممردا ، وأوطأنا المطى من اديمه زردا ، والناس قد ثاروا الى ، وأطالوا التسليم على ، وتفاوض فى ذلك سرهم ونجواهم ، فما زالت تلك دعواهم حتى دخلت بلدي (قتورية) حرسها الله تعالى :

هى الدار لا أصحوبها عن علاقة ... لامر لنا بين الجوانح مضمر

فجاد على ارجائها الغيث انها ... منازل جيران كرام ومعشر

---

79) الايم : الحية .
80) اي نحسب ونظن .
81) حلقة الذهب او الفضة .

ودخلت عند أذان العصر من يوم الاثنين المذكور فاجتمع والحمد لله الشمل وسر الاحباب والاهل :

وألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب مسافر

فاستوطناها قرار ، ولم نشم بعد العشية من نجد عرارا ، وذكرت عند ذلك مخاطبا أهلا ودارا :

صب يحث مطاياه بذكركم فليس ينساكم ان حل أو سارا
لو يستطيع طوى الايام نحوكم حتى يبيع بعمر القرب أعمارا
يرجو النجاة من البلوى يقربكم والقرب يلهب فى احشائه النارا

وحللتها حلول الحياة بالجسم ، والاعراب فى آخر الاسم ، فاتقد سراج الانس فى ليل ذلك التوهم ، وأومض برق التبسم فى وجه ذلك التجهم ، ومضى لنا من ذهول الالباب ، ومحادثة الاحباب ، ومجاذبه أهداب الآداب :

يوم كأن نسيمه من عنبر وتخال أن اديمه من جوهر
لو باعت الايام آخر مثله بالعمر أجمع كنت أول مشتري

وقد قيل ليس تعدل ساعة الفراق الا ساعة اللقاء :

فلولا البعد ما حمد التدانى ولولا البين ما طاب التلاقى

فجاءت هذه الغيبة المباركة خمسة أعوام الا شهرين اثنين وثمانية عشر يوما .

ومن النادر أنى لما أتممت هذه الرحلة المباركة وأصبحت بمنزلى أول صباح أصبحته فيه صليت الصبح وجعلت أقرأ فى مصحف كريم بين يدي الى أن غلبتنى عيناي فسمعت هاتفا يهتف بى وأنا بين النائم والمستيقظ وهو ينشدنى هذين البيتين ولم أكن قط سمعتهما وهما :

تم للعشاق أمرهم وكذلك الاجر قد كملا

فاعذر العشاق انهم قد جفاهم كل من عذلا

وها أنا أقف موقف الخجل والتقصير ، وأسئل الله العلى الكبير ، بجاه سيدنا ومولانا محمد رسوله البشير النذير ، أن يجعله حجا مبرورا وسعيا مباركا مشكورا وعملا صالحا متقبلا مذخورا وأرغب ممن وقف على التقييد من الاولياء ان يخلص فى التأمين على هذا الدعاء ، وان يتفضل بالسمح والصفح والاغضاء ويعلم ان اللسان يقصر ومعانى الكلام لا تنحصر ، وقديما قيل من ألف فقد استهدف ومن ركب الاكثار ، لم يسلم من العثار والمرء مستور ما لم يؤلف تأليفا أو يقل شعرا ، وهذا ما سنح مع الكد والاجتهاد ، واجتهاد مقصر خير من تقصير ذي اجتهاد ، واختم هذا المجموع بما انشدنى لنفسه بحرم القدس الشريف الشيخ الامام الاوحد جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن نباتة المتقدم الذكر وذلك :

دعونى فى حلى من العيش مائسا ومرتقبا من بعده عفو راحم

أمد الى ذات الاساور مقلتى وأسأل للاعمال حسن الخواتم

اللهم اختم لنا بالحسنى وبوئنا من رضاك المحل الاشرف الاسنى ، انك أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا

خاتم النبيئين والمرسلين ، وعلى آله وأزواجه وذريته وصحابته أجمعين وآخـر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

كملت الرحلة المباركة بفضل الله تعالى وحسن عونه المـوالـى والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله سبحانـه مفوضا اليه وكفى . (وبخط عبيد الله سبحانه الفقير الخائف المشفـق الراجى المستغفر خالد بن أحمد بن خالد المؤلف بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن على ابن أبى خالد البلوي تاب الله عليه ، ورده ردا جميلا اليه ، برحمته وفضله وأكملها فى اليوم الحادي والعشريـن لصفر المبارك من عام تسعة عشر وثمانمائة ، وذلك برشانة المحروسة بفضل الله من خط جدي رحمه الله المؤلف والد والدي رحمة الله عليهم أجمعين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال خالد بن أحمد بن خالد المؤلف رحمه الله تعالى : نقلت من خط مولاي الجد ما كان مكتوبا على ظهر نسخته التى انتسخت هذا منها ما هذا لفظـه :

كملت الرحلة المباركة التى هذه آخر نسخة منها بخطى وهى التـى اعتمدتها وعولت عليها بفضل الله تعالى وحسن عونه الموالـى ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وحسبنا الله سبحانه مفوضا اليه وكفى ، وبخط مؤلفها ومنشئها عبيد الله الفقير الخائف المشفق الراجى المستغفر خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن على بن أبـى خالد البلوي تاب الله تعالى عليه ورده ردا جميلا اليه برحمته وفضله ، وأكملها فى اليوم الاخر من الشهر المبارك السعيد شهر ربيع الاول مـن عام سبعة وستين وسبعمائة ، وذلك برشانة من وادي المنصورة حرسها الله مدة ولايتى للقضاء بها حسن الله فيه العاقبة وأجمل الانابة اليه سبحانه وتعالى ، وختم بخير وسعادة أبدية برحمته وكرمه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع النبيئين والمرسلين والملائكة والمقربين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين انتهى ما ألفيته بخط جدي رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وبعد هذا بخطه رحمه الله تعالى ما نصه قال خالد بن أبى خالد : وخط بيده لطف اللـه تعالى به بفضله ورحمته لله سبحانه وتعالى وصلاته وسلامه الاكملان على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه هؤلاء العلماء الفضـلاء

الذين أثبت أسماءهم هنا بعد هذا القسم الثانى من الذين مدحوا هـذا الكتاب المفروغ منه قبل هذه الكراسة وكتبوا ما نظموه ونثروه مـن ذلـك بخطوطهم فى المبيضـة الاولـى من هذه الرحلـة المذكـورة وهم الذين أشرت اليهم ونبهت عليهم فى الاوراق الاوائل من ظاهر هذا الكتاب قبل ترجمته فأولهم الشيخ الفقيه القاضى العالم المحدث القدوة أبو القاسم بن سلمون بن على بن سلمون الكنانى (82) أبقى الله بركته كتب بخطه من نظمه على أول مبيضة منه بعدما طالعه واستوفاه نظرا واستحسنه غاية الاستحسان أدبا ونثرا ما نصه : وقرأته عليه وسمعته من لفظه وذلك لفظه بالمرية المحروسة مدة قضائه بها فى وسط شهر ربيـع الاول المبارك من عام ستة وخمسين وسبعمائة :

يا روضة من جنان الخلد يانعـة ... أتى بها خالد تندى أزاهرهـا
تحوي غرائب من شعر ومن أدب ... ومن علوم بانـت سرائرهـا
فيا لها رحلة أو حليـة بهـرت ... لاهل فضـل بهم جلت مفاخرهـا
صيغت قلائد من بحر البيان لهـم ... فيا لها حلية فاقـت جوارهـا
وحق للشرق أن يزهى بطلعتهـا ... اذ هى شمس أنار الافق باهرهـا
وللمعارف أن تسمو بمطلعهـا ... أبى البقا خالد اذ هو ماهرهـا

الشيخ الفقيه القاضى العدل الرضى المتفنن الفاضل أبو عبد الله محمد بن سعد (83) المعروف بابن النجار ، كتب بخطه من نظمه علـى المبيضة الاولى من هذه الرحلة المذكورة بعد أن طالعها واستوفـى ،

---

82) القاضى المحدث البباسى الاصل الغرناطى المولد كان موثقا والف فى هذا الفن ولد سنة سنة 688 وتوفى 767 (تاريخ قضاة الاندلس ص 168)

83) ن 3 ابن سعيـد .

واستحسن وأثنى ما نصه : وقد سمعته منه وقرأته عليه ، وذلك بالمرية فى عقب شهر ربيع الاول المبارك من عام ستة وخمسين وسبعمائة :

خلدت يا خالد فوق السماك   بهذه الرحلة قدرا علاك
نزهت منها فى رياض ندا   أيادي كبرى اقتضاها نداك
سميتها تاجا تحلت به   مفارق الاعلام درا ثناك
الست صدرا فى القضاة العدول   اقتبست أنوارها من سناك
فأنت ما حليتهم انما   قسمت بالعدل عليهم حلاك
أريتنا مفترقا فيهم   ما فيك بالاجماع مجموع ذاك
فبارك الله تعالى اسمه فيما به   من ذي المعالى حباك
ودمت لا تمد للثم فى   أندية التعظيم الايداك

الفقيه الاجل الكاتب البارع الناظم الناثر ذو الخط الفاتن الساحر والأدب البارع الباهر والشمائل الزكية المفاخر العذبة الاوائل والاواخر أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سلمة الغرناطى وقف على المبيضة الاولى بمنزلى من وطنى قنتورية مهنئا لى به بعد قدومى من الوجهة المشرقية المشروحة فى هذه الرحلة المذكورة فكتب عليها بخطه الرائق المعجب البديع ما نظمه على البديهية بحضري وسمعته منه وقرأته عليه ونصه :

أيها الحبر الذي   فاق علما وأدب
وسجاياك التى   دونها ضوء الشهب
ان ما تكتبه   لغريب المكتتب

تلقـح الاذهـان عنهـا نهـى لا تستلـب
انهـا مـن درر وسواهـا من خشب
حـق ان نكتـبهـا أو نـوفـى ما يجب
بسواد العيـن لـ يـس بصفرة الذهـب

الفقيه الاجل الافضل الازكى العدل الرضى الاسدي ، الاكمل أبو الحجاج ابن حصن وقف على النسخة الاولى من هذه الرحلـة ببلـده بلش فى وجهتى الى (مـالقـة) والى غريبها برسم لقاء العلمـاء الفضلاء وذلك فى شهور ست وخمسين وسبعمائة فكتب عليها بخطـه ما نصه ، وعليه قرأته ومنه سمعته ، لما وقف العبد الفقير الى مولاه الغنى به عمن سواه يوسف بن على بن محمد بن على بن محمد الخولانـى ثم ابن حصن الشاطبى البلشى المحتد البلشى المولد على هذه النسخة بـل الرحلة المباركة المآثر الشريفة الاوائل والاواخر ، أنشد بلسان المتلعثم مرتجلا وقريحة التقصير مستعجـلا :

لاح مـن الشـرق هـلال سمـا فـاق بـه مغربنـا مشرقـا
جـاء من اليم بـدر يضـىء قلبـا مـن الغـم لـه مشرقا
رحلـه حـج مـن حـلا خالـد حـاز من المجد بهـا مفرقـا

(الفقيه الوزير الكاتب) الماهر الناظم الناثر أبو جعفر أحمد بن زرقالة وقف عليها وكلف بها ونسخ بخطه البارع الرائق العجيب نسخا منها وقرأها على بلفظه وسمعها بلفظى وبلفظ غيري بالمرية المحروسة مرات كثيرة ونظم فى مدحها مقطوعات عديدة وقصائد جملة جميلة واعتنـى بها غاية الاعتناء وجمع كل من نظم فيها شيئا من النظم أو النثر فى مجموع رائق أنيق حافل منفرد بنفسه وعرف بهم تعريفا حسنا نفعه اللـه

بقصده ، فمما نقلت هنا من نظمه الذي كتبه على النسخة الأولى من هذه الرحلة ، ما نصه مقترنا بما قبله وبعده ، وذلك الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ، يقول كاتب هذه بخطه عبد الله الراجي رحمته أحمد بن محمد بن زرقالة ختم الله له تعالى بالسعادة لما وقفت على هذه الرحلة البارعة من انشاء شيخنا رئيس الادباء وامام الفصحاء البلغاء أبى البقاء أطال الله بقاءه ووالى سموه وارتقاءه نظمت بديها بتاريخ اليوم التاسع عشر لشهر ربيع الاول من سنة ست وخمسين وسبعمائة :

لله تاج وأي تاج ... حلى بالدرر والجواهر
نزهتني منه فى رياض ... مختلف النور والازاهر
جرت عليه الصبا ذيولا ... غنم عرف شذاه عاطر

ثم كتبت ونظمت بعد ذلك :

وشيت التاج يا تاج المعالى ... فجل على المفارق والرؤوس
رقمت جهاته ورشقت فيها ... بمسك الحبر كافور الطروس
فلم أرقبله فى الطرس تاجا ... يرصع عاجه بالابنوس

ومما كتبت هنا فى قصائده التى نظمها فى ذلك وكتبها هنالك قوله ، وكتبتها هنا بما قبلها وبعدها الحمد لله حق حمده ، ومما نظمه كاتب الابيات أسفل الصفح يسرته أحمد بن محمد بن زرقالة وفقه الله وخاطب به مصنف هذه الرحلة شيخه القاضى الجليل الحسيب الفاضل ذاتا وأداوة وخلقا وبيتا أبا البقاء خالدا حفظ الله مجده وبتاريخ اليوم الثالث والعشرين لربيع الاول من سنة ست وخمسين وسبعمائة ما نصه :

توجـت أهل الشرق تـاج جلالة		أزرى بتيجان بنـى قحطـان
ونظمت ذكرهم بـأسلاك العلـى		نظمـا كنظـم الـدر والمرجـان
ورفعت راية مجدهم وفخارهـم		وكسوتهم حللا مـن الاحسـان
من دونها مـا دبجتـه يد النـدا		فى الروض غب العارض الهتـان
خلدت خالـد من حلـى آثارهم		مجـدا تقـر بمثلـه العينـان
وأتيت من بدع البديـع برحلـة		بـل حلـة مـوشيـة الاردان
أو روضـة قد جادها صوب الحيا		فتزينـت بزخـارف الالـوان
تهديك مـن نفحاتهـا أرج الصبا		مسكا يضـوع شـذاه كل أوان
شغفت بها مهج سمت لكنهـا		حلت محل الروح مـن جثمـان
لاسيما اذ أفصحت بحديث مـن		حل الحما مـن ساكنى نعمـان
سحرت محاسنها النهى فكأنهـا		وكأنـه كالـورد للظمئـان
وترى القلوب تصيخ نحو حديثها		آذانهـا سبقـا الـى الآذان
قد أمحضت مـن لؤلؤ الفاظهـا		وصفت معانيهـا مـن العقيـان
ماريء قط بمثاهـا فيما مضـى		مـن سالف الاحقاب والازمـان
ظرفا وترتيبـا وحسن عبـارة		لا يحتذي منهـا مزيـد بيـان
لـم لا تكون بهذه الاثـر التـى		قد أشرفت شرفا على كيـوان
وحللت مـن رتـب البراعة ذروة		بوئـت منهـا فى أعـز مكـان
فيمد فكرتـك البيـان بديمـة		لسحابها تسمـو يدا سحبـان
ومتـى رقمت الطرس أو وشيته		أنسيت وشـى أزاهر البستـان
فـاهنأ بما أحرزت من خصل ومن		نوعـى كمال بيـان أو تبيـان

وابق الزمان أبا البقاء مرفعا في ظل عيش أخضر ريان
واليكها من شاعر لم يحتكم في النثر حنكته وفى الاوزان
غر صغير السن مبتديء أتى في حين سوق كاسد وأوان
لم يلف مسعده على طلب العلى والعلم فهو مبدد الاحيان
ولتسمحن ان كان جهلا ان لى عذرا مقال زيادة الذبيان

ثم كتب بعد هذا بخطه البارع ما نصه ، خذها على حالها ، وانر بنورك أفق هلالها ، فهذا الشأن وان كان لابائى فيه سبق السبق ولا مفاخرة ، فبضاعتى فيه مزجاة قاصرة فأوف فى سماحك الكيل ، وأجد وان وجدت خللا فى القول فهى وا نكانت أقرب لسبيل الوهن . ومبتاعها يرجع على بائعها بالغبن ، فمثلى على حداثة سنه ، وتبلد حسه وذهنه ، ان كان منه خطأ فواقع من محله وهو من ذويه وأهله ، والله تعالى يعلى قدركم ، ويسمى ذكركم والسلام الكريم الطيب العاطر ، يخص به محلكم الطاهر كاتبها وناظمها عبد الله الراجى رحمته أحمد بن محمد ابن زرقالة وفقه الله تعالى بمنه وكرمه (انتهى) الفقيه الخطيب العالم العامل الصالح الورع الفاضل نخبة العلماء صدر الفضلاء وزين الخطباء الصلحاء رافع راية الفضائل وحامل اللواء أبو عبد الله محمد بن حسين أحسن الله اليه برحمته ، سمع هذه الرحلة من لفظى مررا وقرأها بلفظه على مرارا وكان أكلف الناس بها وأحبهم فيها واعرفهم بقدرها . وأذكرهم لمحاسنها وأبر البارين بمؤلفها وأحب المحبين فيه نفعه الله تعالى ونفع به وكان مما كتبه بخطه العجيب البارع المغرب على أول نسخة منها ما نصه لما من الله تعالى على كاتب هذا عبيد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن حسين الاموي بأن اتحفه بقراءة جميع كتاب تاج المفرق هذا على مؤلفه أعجوبة دهره ، وفريد عصره ، الامام ، الاوحد جمال الادباء وزين الحسبان ، وسليل السادة الادباء القاضى الخطيب المحدث الرحال الراوية المسند أبو البقاء خالد بن الشيخ الفقيه القاضى الخطيب

العلم الاعلم الاعرف المتفنن الاكمل المبرور المقدس الاطهر المرحوم أبى الاصبغ عيسى بن خالد وصل الله سعده وحرس مجده ووالى آلاءه عنده كان مما انطقته به محاسنها التى تكاد تصير الجماد انسانا وينقلب باقل العى سحبان بيانا ولسانا :

قولـــــه :

في تاجك المجد كله خالـــد لا ينقضى والسناء يا خالـــد
تـــاج اذا رءاه اللبيـــب رءا منك جميـع الانام فى واحـد
بالحسن ان شئت حـده كأنمـا خلدتـه ضمنـه بـلا زائـد
من ذا الذي شام منـه برق سناه ثـم أضحـى لفضلـه جاحـد
من لم يذق طعم مـا حواه جنى فليطلبـن غيـر آدم والـــد
أطلعتــه تــاج مفرق فغـــدا شرقـا وغربا بفضلكم شاهـد
فالحافـظ اللـه ربنـا الواحـد عليك مـن كل عائن وحاسـد

وكتب بأثر هذا متصلا به ما نصه وكان نظمى لهذه الابيات فـى آخر اتمام القراءة للكتاب المذكور قراءة كملها السماع لبعضه وذلك فى شهر ربيع الاول عام ستة وخمسين وسبعمائة ثم قرأتها الان كلها مرة أخرى على المؤلف ابقاه الله فى مجالس بعضها بحمة مرشانة وبعضها بحمة بجايـة وبعضها (جزاء) وبه كمل جميعها بمدينة المرية . قال هذا كله وكتبـه بخطه محمد بن أحمد بن ابراهيم بن الحسن المذكور بتاريخ وسط شوال عام سبعة وخمسين وسبعمائة والحمد لله وسلام على عبـاده الذيـن اصطفى (الفقيه) الخطيب الاستاذ المتفنن القاضى العدل الفاضل حامل أو فرحظ من العلم بالتقى والعقل والحكم أبو عبد الله بن الشيخ الفقيه القاضى العارف الفاضل المرحوم أبى عبد الله محمد بن جعفر بن مشتمل

معرفة ويعرف أيضا (بالبليانـــى) نفع الله ببركاته سمعها بجملتهـا على واغتبط بها لما وقف على النسخة الاولى منها أعظم الاغتباط وكتب بخطه على ظاهر النسخة التى يسمعها على من هذه الرحلة ما هذا نصه، بما قبل النظم وما بعده ثم قرأ جميعها على بلفظه بعد ذلك مرة أخـرى الحمد لله كما يجب لجلاله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم المصطفى وعلى آله ، لما أظفر الله تعالى باسنى الآمال بعد لى من الزمان وطول مطال برؤية هذه الرحلة الواجب لها على الخفة والثقل السفـر والرحلة وروايتها عن مبتدعها الذي خلد بها المآثر والمفاخر وفضح الاوائل من البلغاء الفصحاء والاواخر وسماعها عليه من أولها الى آخرها حملنى على النظم فيها وان لم أكن هنالك فمن انصاف المرء ان يسلم فى كل فضيلة الى أهلها الذين يحملونها حق حملها ولا يدخل فى شىء ليس فى يده طرق سببه ويدع الهوى لاناس يعرفون به ، لكننى حين عـــن النظر فى ذلك غفلت فتجرأت وقلت :

أبـــا البقاء لقد أبقيت للزمـــــن ... تــاجابمفرقـــه يجــل عن ثمن

رصعتــــه مــن بدائـــع الربيـــع ... وأنواع البديـــع بكل رائق حسن

لقد بلغت مدى من البلاغة لـــم ... يبلغــه فى لســن اللسان ذو لسن

شأوت من شئت فىشأو الفصاحة ... فالبليغ أضحى لديك وهو ذو لكن

فئال اهتم اهتـم مفوههـــم ... يفـوه باللحن بعد الفوه باللحن

(فخالد النثر لم تخلد محاسنــه ... وخالد اذ أتى بمعجـز الفطـن)

وعمر نظمهم اذ جاء ما عمـــرت ... به المجالـس فى ســر وفى علـن

جئت بهــا رحلة تقضى برحلتنــا ... بكل ذي رحلة لهــا من البـدن

جمـــال رونقها ودر منطقهـــا ... مكحـل العين أو مشنـف الاذن

غدت صبا سحر على ربا زهـــر ... أو ظفر ذي سهر بشارد الوســن

نشيان نشوتها نيسان نسوتهـا
فانها الخمر تهمى بقوى حصـن

ملنا من السكر من سماعها طربا
من قاري يطرب القمري فى الغصن

فخر السراة وعادل القضاةومعرب
النحاة وحبر الفـرض والسنـن

خلدت يا خالد فخرا لاندلـس
بمصر والشام والعراق واليمـن

خلت بك الغر من أعلامهن فكـم
لها عليهن من حق ومن منـن

فاسلم ودم فى المعالى والجلال كما
تحب فى المال والاهلين والوطـن

قال ذلك وخطه بيده المعترف بتقصيره الناشىء عن قصوره الراغب الى مولاه الكريم وربـه فى العفو عن عظيم ذنبه ، محمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن يوسف بن مشتمل الاسلمى شملته الآلاء من الاهة سبحانه والنعم ، وسالمه بدعائه صلى الله عليه وسلم لمنتماه أسلم وذلك فى السادس عشر لشهر شوال عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، قال مؤلف هذه الرحلة خالد بن أبى خالد لطف الله به ، وهنا انتهى ما أوردناه ، من اثبات ما قصدناه مما أشرنا فى أول الاوراق ظاهر هذا الكتاب اليـه ونبهنا هنالك عليه ، وقد بقى من لم أذكره هنا من الفضلاء الذين اعتنوا بذلك ، وسلكوا بنظمهم ونثرهم هذه المسالك ، توغلو اكثارا فدعانـى الاشفاق والخجل الى أن حذفتهم اختصارا ، واقتصرت على من ذكـرت هنا اقتصارا ، والله عز وجل يجمل الستر وينعم بالسمح ، ويمـن بالتجاوز والعفو والحمد لله عودا على بدء وشكرا له سبحانه على كل نعمة وصلاته وسلامه على سيدنا محمد نبيه ورسوله الكريم المصطفى ، وعلى آله وصحبه وجميع عباده الذين اصطفى ، وحسبنا الله تعالى مفوضا اليه وكفى قال خالد بن أحمد بن خالد المؤلف انتهى ما وجدت بخط مولاي الجد رحمه الله والد والدي وما قيدت منه وكان تمامه فى اليوم الخامـس عشر لربيع الاول المبارك عام تسعة عشر وثمانمائة عرف الله خيره أمين.

انتهـى والحمد لله رب العالمـين .

فهرس الجزء الاول من كتاب تاج المفرق

الصفحة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحة

فهرس الاعلام الجزء الاول

ـ ا ـ

ــ ح ــ

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

— ن —

ـ ي ـ

فهرس البلدان

الجزء الاول

ـ ا ـ

— ذ —

— ر —

— ز —

— س —

— غ —

— ف —

— ق —

فهرس القصائد والابيات

الجزء الاول

فهرس موضوعات الجزء الثاني

الموضـــوع | الصفحـــة

فهرست الاعلام

الجزء الثاني

الاسم	الصفحة

الاســـم	الصفحـة
تاج الديـــن الســـرخدى	49
تاج الديـــن الشافعـــى	52
جمال الدين الحلبى	4
جمرة اليربوعيـــة	38
جعفـــر البرمكـــى	4
جعفـــر الهمـــدانـــى	21
جمال الدين بن منيـــر	58
جمال الدين بن المكرم	62
جمال الدين المالكـــى	78
جمال الدين بن مكى بن الحاسب	81
جمال الدين أبو الفتح الاسكندري	84 — 83
جمال الدين النابلسى	90
جمال الدين بن العطار	137
جمال الدين بن نباتـــة	154
حســـام الدين الحاجرمـــى	122
حسام بـــن بهـــرام	140
خالـــد البلـــوي	1 — 156
الخليل عليه الســـلام	11
خالد بن أحمد بن خالـــد	156 — 155
خالـــد بن أبى خالـــد	156
داود بن أبى هنـــد	149
رضى الدين النيسابـــوري	43
الـــردوبـــادي	57
الـــرشيـــد	71
رشد بن رافـــع بن علـــى	81
زين الدين بن الشيـــخ	34
زبيـــــدة	71
سهـــل بن مالـــك	92
سعـــد الدين الدمشقـــى	126
سعد بن أبى وقـــاص	149
سعـــد بن مالـــك	149
شرف الدين بن الشيـــخ	35

الاســم	الصفحــة

الاسم	الصفحة
ابو القاسم الشافعي	19
ابو القاسم الاسكندري	21
ابو القاسم بن عباد	21
ابو القاسم بن الشيخ	33
ابو القاسم الانصاري	38
ابو القاسم الشاطبى	43
ابو القاسم بن بكران الحوفى	73
ابو القاسم الدمشقى	87
ابو القاسم اللخمى	92
ابو القاسم القشيري	102
ابو القاسم القبتوري	107
ابو القاسم بن كامل	138
ابو القاسم بن سلمون الكنانى	157
ابو مدين	18
ابو محمد المقدسى	43
ابو محمد المغريانى	46
ابو مختيار البغدادي	51
ابو محمد بن القاسم الانباري	51
ابو المظفر الشافعى	61
ابو محمد بن بقية	73
ابو محمد بن محمد الخلال	83
ابو محمد عبد الله بن الشيخ التنوخى	98
ابو محمد بن هارون الطائى	104
ابو محمد العبدري	105
ابو مروان بن يحيى	105
ابو نعيم بن اسحاق	43
ابو النصر الدمشقى	61
ابو الوقت عبد الاول السجري	35
ابو يعقوب الجذامى	105
ابو يحيى بن ابى حفص	108

فهرس المدن

الجزء الثاني

الاسم	الصفحة

حرف ـ ح ـ

حرف ـ د ـ

حرف ـ ذ ـ

حرف ـ ر ـ

حرف ـ س ـ

حرف ـ ش ـ

حرف ـ ط ـ

الاسم	الصفحة

فهرس القصائد و المقطعات الشعرية

الجـــزء الثانـــي

الصفحة	آخر البيت	اول البيت
21	الرياح	ايا قمرا
21	لك	قلت
22	راح	تثنى
22	الحزن	يا عاطل
22	مبتول	لا تعدلاه
23	شنل	هل تذكرين
23	نعسا	يا فرقة
23	نفس	ان للجنة
24	الفعل	نزلنا
24	مسمرا	وفتحت
26	للبصر	والناس
26	أعلم	تفيض
26	تعلم	ومهما
26	وأهله	وقد كان
27	وتوجعا	بأعظم
27	الماء	كأننى
28	المخبر	قبحت
28	الحضر	حيران
28	فلاح	أملتهم
28	الطنبا	فى ليلة
29	يعاد	سريت
29	الابصار	فنعود
29	أهوال	فيا دارها
30	بالادب	تدعو
30	الوان	لونا
30	الغماري	لا قدس
32	أسفار	أنا
33	تمولا	كان
33	الشمل	وقد كان
34	دليل	وليس

فهرس الخطأ والصواب الخاص

« بالجزء الاول من كتاب تاج المفرق »

الخطــا	الصفحة	السطـر	الصــواب
لا يستوجبه (مكررة)	6	16	لا يستوجبه
فى	9	4	من
يما	9	7	كما
فى جزئين	9	16	فى أجزاء
عدد	10	1	عدة
الشك	10	8	شك
اذا	12	12	اذ
بذاتها	12	24	بذلتها
المجذر	16	6	المجدر
بلسنة	17	3	بلنسية
يحتاز	17	19	يجتاز
بالامام	18	7	الامام
يتجاوزة	19	3	يتجاوزه
الادلسيين	20	4	الاندلسيين
زرقله	20	3	زرقالة
وارت	22	17	وارث
فايز	22	19	فاز
انفاد	23	10	انفاذ
نشر	24	2	نثر
التكرورتى	24	6	التمكروتى
السية عن	28	2	السبعة على
القسنطيى	31	18	القسنطينى
ابن ابن	32	10	ابن
المشدالى	34	12	المشذالى
ايثار	37	22	ايثارا
سلوكه	38	1	سلوكه

الخطــأ	الصفحة	السطـر	الصــواب
النقاووســى	38	3	القـارسـى
المخزن	38	12	المحـزن
الشبيه	41	2	الشبيبـة
بيواقت	41	7	فيواقيت
يابارفـا	41	15	ابارقـا
أكبـار	43	2	أكـابـر
الفلقشنـدي	45	7	القلقشنـدي
المشـرق	45	14	المفـرق
ويلـش	45	17	وبليـش
النـاس	46	8	التبـاس
ونقـارب	47	3	وتقـارب
الواحـن	47	3	الواحـد
فبيـت	53	10	فبيـت
537	53	13	737
المذاعبـة	54	10	المداعبـة
تقريـط	54	15	تقاريـط
عـدد	55	9	عـدة
أميـر	56	17	وأميـر
يغمـراس	56	17	يغمـراسـن
وثلاثـون	57	22	وثلاثـين
بينهمـا	58	12	بينمـا
وينتسـح	58	14	وينتسـخ
أذ	58	14	اذا
أسماؤهم	58	16	أسماءهـم
ليستنـذر	59	6	ليستـدر
الاب	71	2	الادب
كتـابـه	72	5	كتابـة
ثسمـة	74	20	نسمـة
الشهلوكـى	75	4	الهشتوكـى
وقـو	76	6	وقـد
حجازية نسخة	76	18	حجازية توجد نسخة
، ه رحلة تظم	77	1	له رحلة نظم ..
النطوانـى	77	9	التطوانـى
توتـد	77	12	توجـد
بنيساتـور	78	14	بنيسـابور

الخطـأ	الصفحة	السطـر	الصـواب
كانت كانت	79	1	كانـت
من يرقـة	81	9	برقـة
تفصيـل	81	16	تفضيل
وعـام	82	17	وعلـم
معلميـة	84	6	معلميـه
التنجـم	85	6	التنجيـم
علمـات	87	18	كلمـات
بلدايـا	88	14	هجـريـة
فبضـر	88	23	فيضـر
التمكـروتـى	89	4	التمكـرورتـى
تـوفـق	89	18	تفـوق
رحلـة	90	11	رحلتـه
القسطنطينى	90	15	القسنطينـى
فضـول	91	14	فصـول
لحـادي	91	19	الحـادي
1276 هـ ـ 860 م	92	7	860 هـ ـ 1276 م
حسـن	92	10	حسـين
ريفـه	92	19	زيفـه
المتوكايـة	92	24	المتوكليـة
وتـزى	93	15	وتزيـى
الـى	94	5	التـى
المدعـري	94	7	المدغـري
وتغييـر	94	11	وتعبيـر
يحتـدى	94	15	يحتـذي
يلنسبـه	95	6	بلنسيـة
المشترق	95	8	المستشـرق
المقـرؤة	96	5	المقـروءة
والتقـرب	97	8	والتعريـف
ظهـرت	98	4	وظهـرت
متواثـرة	99	7	متـواتـرة
حـول	100	1	يحـول
الشجعـى	100	22	السجعـى
الرواي	101	22	الراوي
ثقـة	103	8	ثقـاة
وقـد	103	10	قـد

الخطـــا	الصفحة	السطـر	الصـواب
واحتدائهم	104	4	واحتذائهـم
الاخد	104	20	الاخـذ
كالعـام	105	18	كالعامـل
اذ	106	7	انمـا
طريقـة	106	13	بطريقـة
الشجـع	106	19	السجـع
فتـوريـة	107	5	قتـوريـة
اقتنـاء	108	1	اقتفـاء
لاختلاف	108	3	لاختـلاق
الا نابكيـات	108	8	الاتابكيـات
قتـا	109	18	قتنـا
اقـامـه	113	6	من اقامـة
الكنعانـين	113	16	الكنعانيـين
الاطلسـين	113	16	الاطلسى
فسامـوا	114	8	فسمـوا
العالـم	114	8	العلـم
علـى	114	8	علـم
ونمـت	115	4	الصين والتبت
وراسـه	115	6	دراسـة
الونشرس	115	24	الونشريسـى
بطيلمـوس	116	2	بطليمـوس
البريـة	116	14	البريـد
ومؤرخـو	116	19	ومؤرخـى
الى بحارى	117	7	الـى بخارى
نجلـة	118	3	دجلـة
كقوامـه	118	14	كقدامـة
يكـب	119	23	يكتـب
خورارزم	120	8	خوارزم
ترجمـه	120	14	ترجمـة
نعـرف	122	13	يعـرف
التشديـد	123	9	تشديـد
مساهـد	123	11	مشاهـد
قسطنطينة	123	14	قسنطينة
بينهمـا	124	5	بينهـا
يقـوت	124	16	يـاقـوت

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
نزلـه	125	9	نـزل
كان يسمـى	125	13	كانـت تسمـى
الحمـري	126	6	الحمـوي
سلـب	126	7	سلـف
والبيـت	126	17	وبيـت
فرمونـه	127	1	قرمـونـة
مكـة	127	11	الكعبـة
المظـاق	131	4	المظـان
.قسطنطينة	132	4	قسنطينـة
للنقاوسى	132	22	للتقارسـى
شهـات	135	8	شهـاب
لسهاب	135	11	لشهـاب
الغشيـري	136	6	القشيري
البلدنيـة	136	18	البلدانيـة
قصـدة	137	9	قصيـدة
سيدنـا وعلى	141	1	سيدنا محمد وعلى
قبـلا	141	7	قيـلا
غضبـا	142	2	غضـا
بأوغـر	143	9	بـأوفـر
تطبـق	146	5	تطبـق
وحنـث	146	21	وحيـث
ابن مديـن	151	15	أبا مديـن
بالعهـود	152	17	بالمعهـود
نغـدت	153	8	نفـذت
حلينـا	153	23	حليـا
وللما غطيط	154	6	وللماء غطيط
علـى ن	154	17	علـى من
الذيـن	156	3	الديـن
الـذيـن	156	14	الذيـن
النهـاو	156	17	النهـار
بتعاطـى	157	6	يتعاطـى
ميـزات	159	9	ميـزاب
آصفـر	160	16	أصفـر
لا	160	17	الا
وفاعلهـا	160	18	وبأعـلاهـا

الخطــأ	الصفحة	السطــر	الصــواب
يخـل	161	17	بخـل
داوو	162	6	داود
واخضـر	164	1	واخضـر
بتدييـج	164	2	بتدبيـج
واطـراد	164	2	واطـراد
آو	165	20	او
بنـدب	166	10	ينـدب
فيغـذو	167	4	فيغـدو
السيـخ	167	16	الشيـخ
مهابـه	167	19	مهابـة
فكأنمـا	167	20	فكأنمـا
فالقيـت	168	3	فالفيـت
الخلـق	169	10	والخلـق
ذو فى الدين	169	10	ذو زهد فى الدنيـا
سولـه	169	16	سؤلـه
تقلـت	169	20	نقلـت
فـآزدد	169	24	فازدد
ابن عمـر	171	23	ابو عمـر
سئوددد	173	21	سـؤدد
ونشـر	175	20	ونشـر
الوفـادة	177	7	الوقـادة
الرجـب	177	9	الرحـب
آنثيالهـا	177	9	انثيـالهـا
الطـاءي	178	3	الطائـى
بـذر	179	6	بـدر
أطـراد	181	4	اطـراد
امنـين	181	8	آمنـين
الامـام الخليـل	182	16	أمـام مقام الخليل
بالحـرام الشريف	182	17	بالحرم الشريف
آداره	183	20	آذاره
واصحـى	184	1	أضحـى
عبـادة	185	6	عبـاده
كئـوس	185	21	كـؤوس
اراكـد	186	4	آراك

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
رحيفها	186	9	رحيقها
غيبة	187	5	غيبه
وفرضية	188	6	وفرضيه الخ
بقطه	188	13	بضبعة
ذلك	189	3	تلك
الدينا	191	2	الدنيا
يدكيها	193	6	يذكيها
فتنزايد	194	17	فتزايد
اوقع	196	13	وأوقع
تغرها	196	19	ثغرها
طبية	196	22	طيبة
وطيئنا	197	5	وطئنا
والموزن	197	10	والموزون
مزكزم	197	17	مزكوم
تفصيلا	198	4	تفصيلا
الا	198	14	لا
واساعا	198	25	واتساعا
الفلاسفة	199	2	للفلاسفة
بكفييه	199	17	بكفيه
الخلقه	201	3	الخلقة
ان	203	5	بن
بمنزلة	203	15	بمنزله
سماما عليه من	203	21	سماعا عليه عن الرازي عن المدارك
القدرة	204	2	القدوة
الديد	204	14	الدين
سنع	204	19	سنة
فآنثنى .. بارج	205	23	فانثنى .. يأرج
فأثمرا	208	12	فأثمر
نفته	209	8	لقيته
المجيزيين	209	11	المجيزين
لتمه	213	3	لثمه
خذه	213	7	خده
بالكؤس	213	2	بالكؤوس

الخطــــا	الصفحة	السطــر	الصـــواب
وآرخصــت	214	15	وارخصــت
واتنينــا	215	9	واثنينــا
بــذت	216	19	بــدت
وكيتمــا	216	21	وكيفمــا
العــزو	216	23	العــز
تغــذو	218	2	تغــدو
زينــت	220	6	زينــب
ومزارعهم ومزارعهم	220	16	ومزارعهــم
فتســاوى	222	13	فتســاوى
حديغــة	223	14	حذيفــة
جلــه	224	23	جلــة
ينــاء	228	1	بنــاء
الحضومــى	228	10	الحضرمــى
آعلــه	231	22	آملــه
دراك	231	23	ذراك
لــو خطــأت	233	5	لو حطات
ذخيــره	235	1	وذخيــرة
تآليــف	235	2	تأليــف
ولاتــه	235	14	مــلاتــه
وتشبــت	236	10	وتشبــث
قاصــى	236	18	قاضــى
واجــازه	236	20	وأجــازه
واحتلفــت	237	1	واختلفــت
ومتانــه	237	6	ومتانــة
اوصانــه	237	15	أوصافــه
مــرار	238	4	مــرارا
الجذبــة الفقــراء	238	15	الجدبــة الفقراء
جناجيــه	240	3	جناحيــه
اوهارهــا	240	10	أزهارهــا
او داء	240	19	أدواء
والباهر	240	20	وللباهــر
اثــاره	241	4	آثاره
ادعنــت	242	7	أذعنــت
ممــن	242	8	بــن
توبهــا	245	16	ثوبهــا

الخطـــا	الصفحة	السطـر	الصـواب
وبطنح	245	17	ويطمح
مدانبه	245	18	مذانبه
تحى	245	19	يحيى
وتتبرح	245	19	وتتبرج
مساحاتها	245	22	مساحاته
محاسنة	246	12	ما حسنه
بجناه	246	17	بثاه
ببير	249	4	ببير
نوحيها	248	12	نواحيها
وحد	250	2	واحد
موضون	250	10	مصون
الصغرة	251	4	الصخرة
تسع وعشر	253	3	تسع عشرة
الغربية	253	15	الغريبة
وأثرت	255	1	وآثرت
منا	255	13	انما
سليلل	256	22	سليل
نفىء	257	7	فلىء
بالندي	258	3	بالندى
وزكائه	259	15	وذكائه
يحتدى	259	21	يحتذى
ن	260	7	من
تعنذي	262	13	تغتدي
ناعييه	263	2	ناعيه
واستقاد	267	8	واستفاد
تعزل	268	12	تغزل
يا مرجانه	268	15	يا مرجانة
وأمانا	268	23	أمانا
بجيين	269	2	بجبين
لو تبديها فياضها بياضها	269	18	لو تبدلها بياضها ببياضها
بجبيين	269	2	بجبين
غضن	272	4	غصن
غذت	272	10	غدت

الخطـــــأ	الصفحة	السطــر	الصـــواب
الدقـون	273	6	الذقـون
بلؤلؤ	273	15	بلؤلـؤ
قضييــا	274	3	قضيبــا
أســد	274		أسـدا
معـدت	275	13	فغـدت
وبـأذن	275	19	ويـأذن
المدام النديم	276		المدامـة للنديـم
العيــا	276	19	العليــا
بكقـرة	276	15	بكثـرة
وأطـرف	276	17	وأطـراف
الســري	277	11	الســرى
والكـري	278	2	والكـرى
فواعسرنــا	280	4	فواحســرتــا
المنلــى	281	1	المنــى
بشــرك	281	1	شــراك
زوراه	281	6	زواره
ثــوابــا	283	6	تــوابــا
شــدا	283	10	شــذا
كعمــة	288	1	كعمــرة
وسلـه	288	1	وسلـم
أربعـة	288	2	أربــع
صحتــه	288	5	صحنــه
دائــق	288	15	حــدائــق
سليمــان	288	21	سلمــان
قبــه	288	25	قبــة
روضــه	289	3	روضــة
الامــين	289	18	الآمنــين
فى ماءهــا	295	17	مــن مائهــا
تمــوهــا	295	18	تمــرهــا
واغلــلا	296	15	واغلــى
يتشبــت	297	19	يتشبــث
فــذاك	299	14 — 16	فــداك
فقلــه	299	15	فقلــت
أن	300	18	عن ابــن
أو نصــف	300	21	ونصــف

الخطـــأ	الصفحة	السطـر	الصـــواب
كبيرة تان	301	4	كبيــرتـان
النــاس	302	7	للنـاس
أبو قبيــس	302	9	أبو قبيـس
الصفـا	307	5	المروة
الملـين	307	9	الميلـين
جبيلـين	308	20	جبلـين
ذكـرا	309	18	ذكـر
هــذا	310	1	هــذه
شــرف	310	16	شرفهـا
رضى الله فنادى	313	6	رضى الله عنه فنادى
كنافـة	313	18	أكنافـه
منتـالـة	313	19	منثالـة
المهمـة	314	21	المهمـة
وشرعهـا	314	23	وشراعهـا
الديبـاج	315	4	الديبـاج
خسة	316	17	خمسـة
يسـا	317	12	يسـار
مـراءاه	318	2	مـرآه
ابـن	318	16	أبـى
شعشـا	318	23	شعثـا

مطبعة فضالة ـــ المحمدية (المغرب)

رحلـة البلـوي :

... رحلة تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، ألفها خالد بن عيسى البلوي الاندلسى المولود حوالى 713 هجرية .

- بدأ رحلته يوم السبت 18 صفر سنة 736 ، وفرغ من تأليف رحلته آخر يوم من شهر ربيع الاول 768 .

- عاصر ابن بطوطة ، وألف رحلته اثناء سفره ونقحها بعد عودته فجاءت محكا لرحلة ابن بطوطة فى الجزء الذي تجولا فيه معا فى العالـم العربـى

- قرظ الرحلة كثير من العلماء ، والادباء المعاصرين للبلوي ، وظلت بعد وفاتـه مرجعا أدبيا وتاريخيا لا يستغنى عنه .

- تعتبر رحلته فهرسا لاعلام الفكر الشرقـى والمغربـى ، ومختارات شعرية ونثرية لادباء المشرق والمغرب .

محقـق الرحلـة :

الحسن السائـح : من أعلام الفكر الاسلامى المعاصر .

نشر عدة كتب ، أهمها : دفاعا عن الثقافة المغربية . الحضـارة المغربية عبر التاريخ .. القصة والمسرحية فى الادب المغربى . والدعوة الاسلامية .. والاطروحة الاسلامية . ونشر عشـرات الابحاث فى الفلسفة الاسلامية والتاريخ المغربـى والتشريـع الاسلامى والحضارة المغربية .